أسرار ترتيب القرآن

جلال الدين السيوطي

أسرار

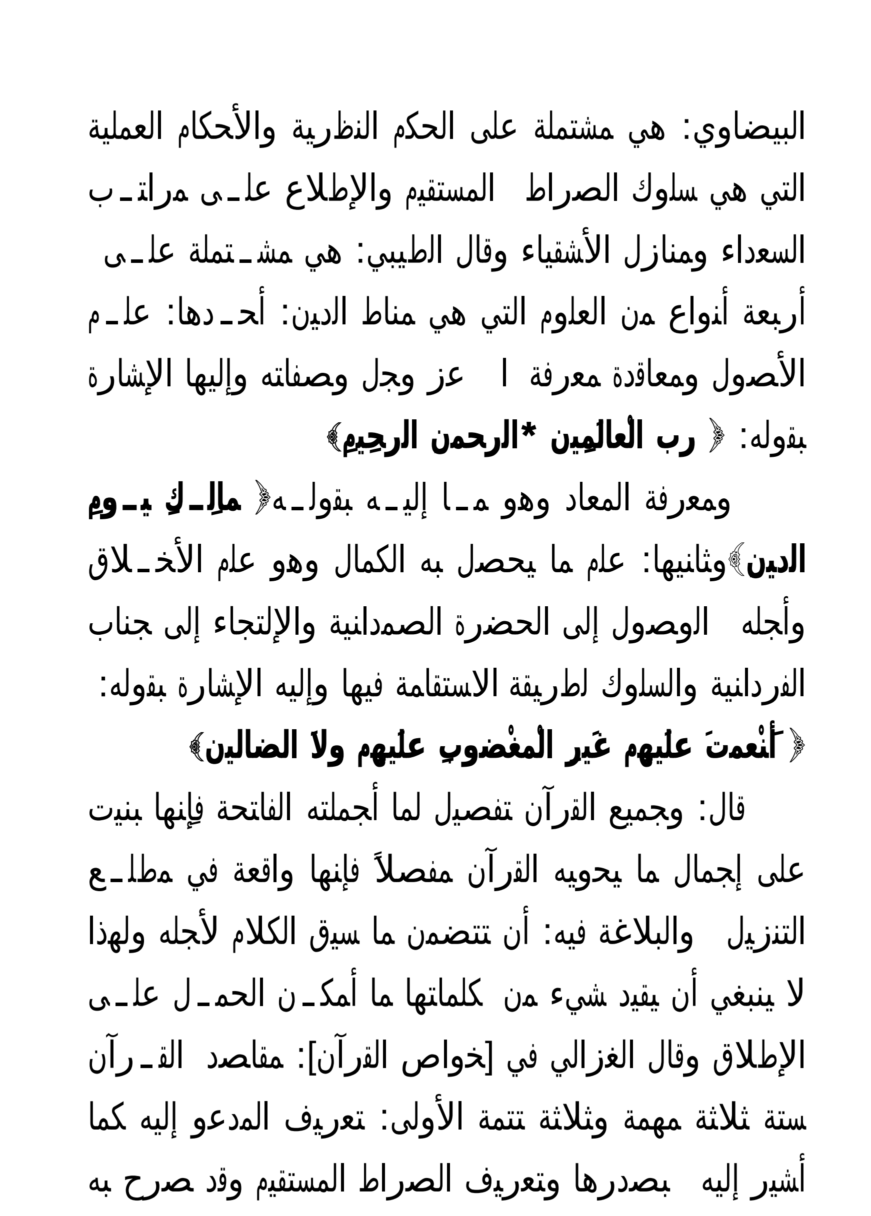
ترتيب القرآن

جلال الدين السيوطي

المحتويات

سورة الفاتحة

افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة لأنها جمعت مقاصد القرآن ولذلك كان من أسمائها: أم القرآن وأم الكتاب والأساس فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال قال الحسن البصري: إن ا أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن في المفصل ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري باشتمالها على الثناء على ا بما هو أهله وعلى التعبد والأمر والنهي وعلى الوعد والوعيد وآيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور قال الإمام فخر الدين: المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر فقوله: ﴿**الْحمد ربِ الْعالمِين**﴾يدل على الإلهيات وقوله: ﴿ **مالِكِ يومِ الدين** ﴾ يدل على نفي الجبر وعلى إثبات أن الكل بقضاء ا وقدره وقوله ﴿**إهدِنا الصِراطَ المستَقيم**﴾ إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء ا وعلى النبوات فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة التي هي المقصد الأعظم من القرآن وقال

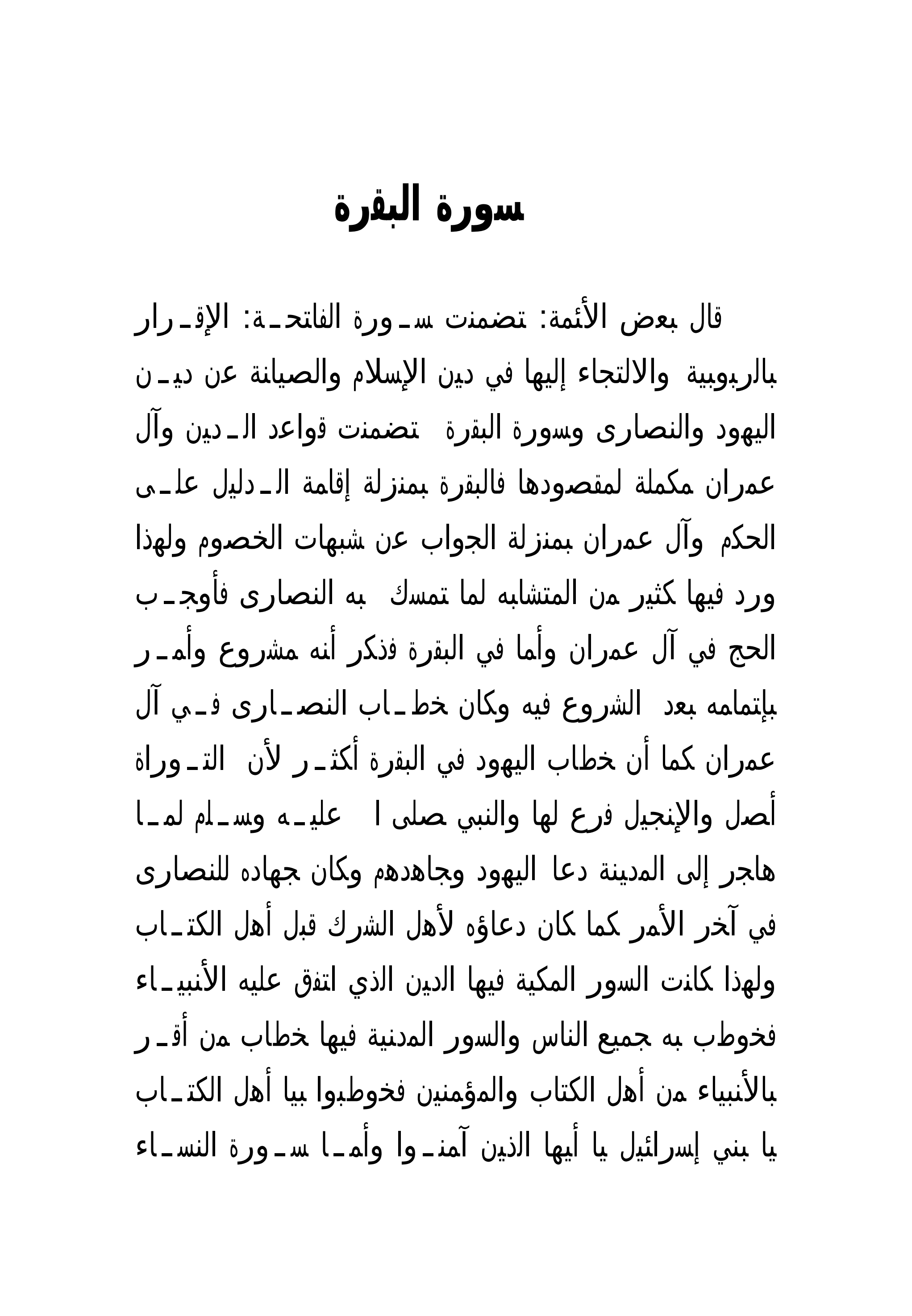


البيضاوي: هي مشتملة على الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والإطلاع علـى مراتـب السعداء ومنازل الأشقياء وقال الطيبي: هي مشـتملة علـى أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين: أحـدها: علـم الأصول ومعاقدة معرفة ا عز وجل وصفاته وإليها الإشارة بقوله: ﴿ **رب الْعالَمِين *الرحمن الرحِيمِ**﴾

ومعرفة المعاد وهو مـا إليـه بقولـه﴿ **مالِـكِ يـومِ الدين**﴾وثانيها: علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخـلاق وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية والإلتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطريقة الاستقامة فيها وإليه الإشارة بقوله: ﴿ **أَنْعمتَ علَيهِم غَيرِ الْمغْضوبِ علَيهِم ولاَ الضالين**﴾

قال: وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً فإنها واقعة في مطلـع التنزيل والبلاغة فيه: أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكـن الحمـل علـى الإطلاق وقال الغزالي في [خواص القرآن]: مقاصد القـرآن ستة ثلاثة مهمة وثلاثة تتمة الأولى: تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم وقد صرح به

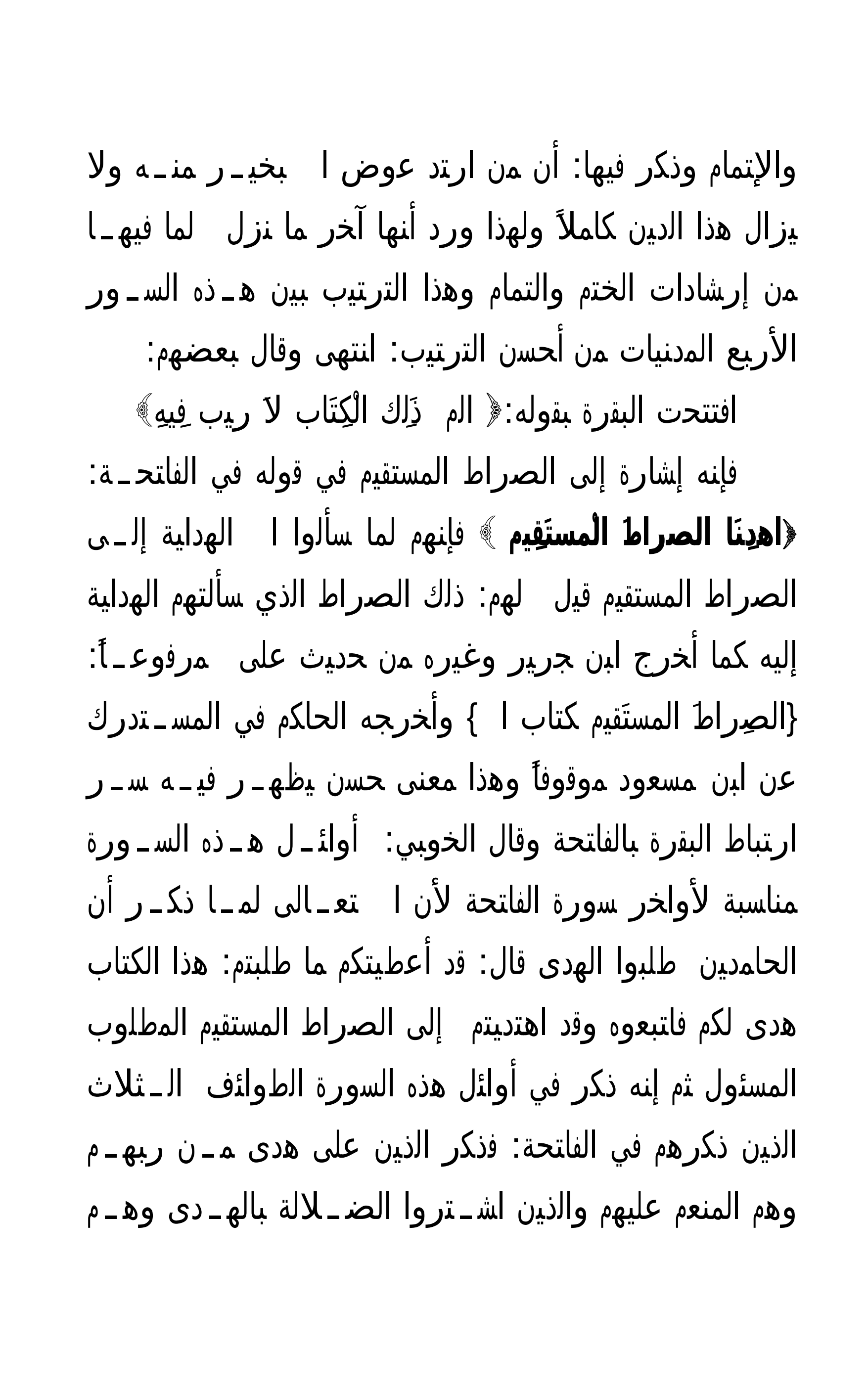
فيها وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة كما أشير إليه بقوله: ﴿**مالِكِ يومِ الدين**﴾ والأخرى: تعريف أحوال المطيعين كما أشار إليه بقولـه ﴿**الـذِين أَنْعمـتَ علَـيهم**﴾ وتعريف منازل الطريق كما أشير إليه بقوله: ﴿**إِيـاك نَعبـد وإِياك نَستَعِين**﴾.



سورة البقرة

قال بعض الأئمة: تضمنت سـورة الفاتحـة: الإقـرار بالربوبية والالتجاء إليها في دين الإسلام والصيانة عن ديـن اليهود والنصارى وسورة البقرة تضمنت قواعد الـدين وآل عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة إقامة الـدليل علـى الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى فأوجـب الحج في آل عمران وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمـر بإتمامه بعد الشروع فيه وكان خطـاب النصـارى فـي آل عمران كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثـر لأن التـوراة أصل والإنجيل فرع لها والنبي صلى ا عليـه وسـلم لمـا هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتـاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبيـاء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقـر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بيا أهل الكتـاب يا بني إسرائيل يا أيها الذين آمنـوا وأمـا سـورة النسـاء

فتضمنت أحكام الأسباب التي بين النـاس وهـي نوعـان: مخلوقة ومقدورة لهم كالنسب والصـهر ولهـذا افتتحـت بقوله: ﴿ **يا أيها الناس اتقُوا ربكُم الذِي خَلَقَكُم مـن نفْـس واحِدةٍ وخَلَقَ مِنْها زوجهـا** ﴾ وقـال﴿ **واتقُـوا ا ‌َ الـذِي تَساءلُون بِهِ والأرحام** ﴾انظر إلى هـذه المناسـبة العجيبـة والافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بهـا ما في أكثر السورة من أحكام: من نكاح النسـاء ومحرماتـه والمواريث المتعلقة بالأرحام وأن ابتداء هذا الأمر بخلق آدم ثم خلق زوجته منه ثم بث منهما رجالاً كثيراً ونساء في غاية الكثرة أما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشـرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ علـى الأمـة ونهاية الدين فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام وتحريم الخمر الذي هـو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين مـن السـراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال وإحـلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة ا ولهذا ذكـر فيهـا مـا يختص بشريعة محمد صلى ا عليه وسلم والتيمم والحكـم بالقرآن على كل ذي دين ولهذا كثـر فيهـا لفـظ الإكمـال



والإتمام وذكر فيها: أن من ارتد عوض ا بخيـر منـه ولا يزال هذا الدين كاملاً ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لما فيهـا من إرشادات الختم والتمام وهذا الترتيب بين هـذه السـور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب: انتهى وقال بعضهم:

افتتحت البقرة بقوله:﴿ الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾

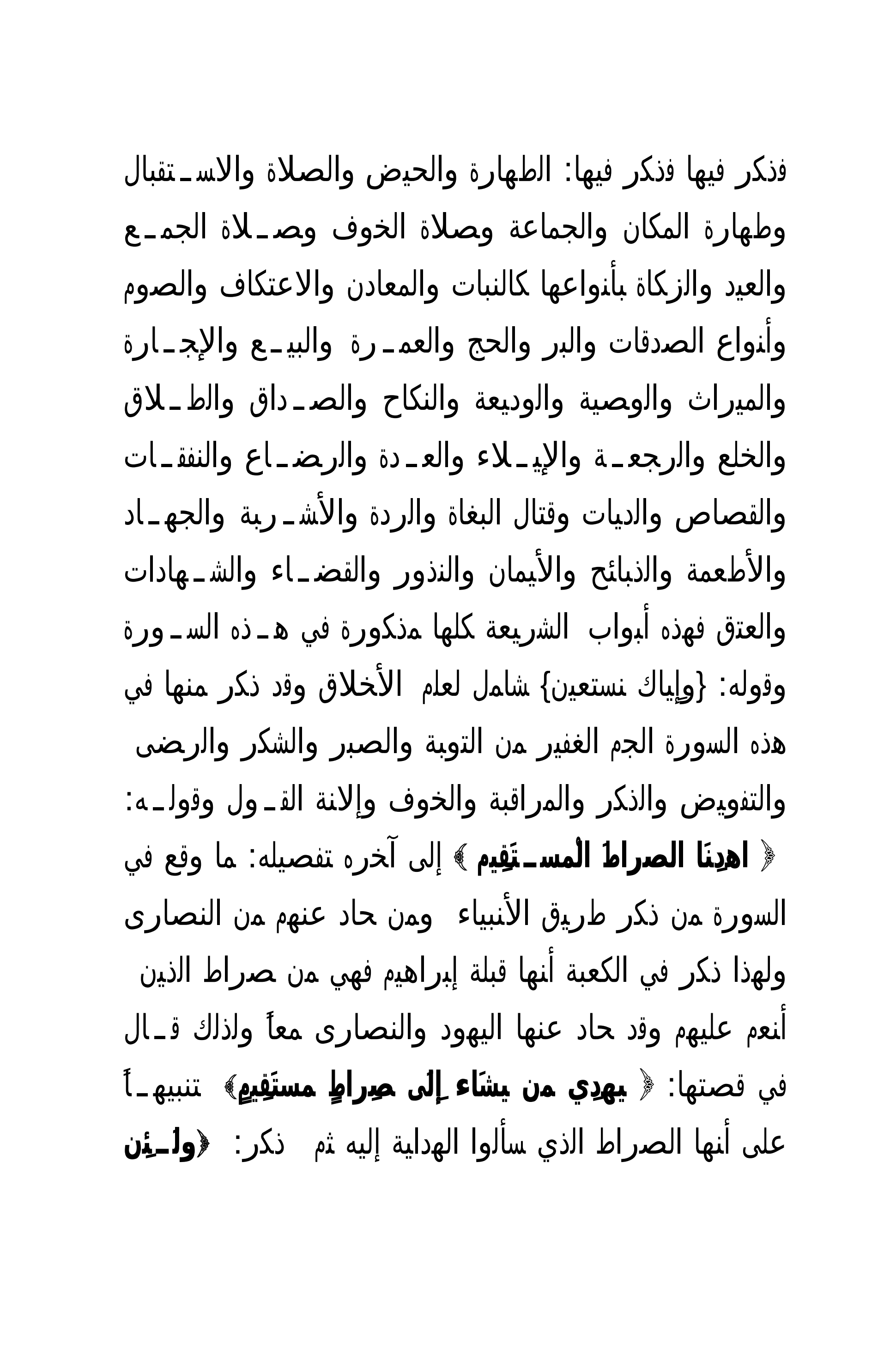
فإنه إشارة إلى الصراط المستقيم في قوله في الفاتحـة: ﴿**اهدِنَا الصرَاطَ الْمستَقِيم** ﴾ فإنهم لما سألوا ا الهداية إلـى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه كما أخرج ابن جرير وغيره من حديث على مرفوعـاً: {الصِراطَ المستَقيم كتاب ا } وأخرجه الحاكم في المسـتدرك عن ابن مسعود موقوفاً وهذا معنى حسن يظهـر فيـه سـر ارتباط البقرة بالفاتحة وقال الخوبي: أوائـل هـذه السـورة مناسبة لأواخر سورة الفاتحة لأن ا تعـالى لمـا ذكـر أن الحامدين طلبوا الهدى قال: قد أعطيتكم ما طلبتم: هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسئول ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الـثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة: فذكر الذين على هدى مـن ربهـم وهم المنعم عليهم والذين اشـتروا الضـلالة بالهـدى وهـم

الضالون: والذين باءوا أقول: قد ظهر لي بحمد ا وجوهـاً من هذه المناسبات: أحدها: أن القاعدة التي استقر بها القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح لـه وإطنـاب لإيجازه وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طويلهـا وقصيرها وسورة البقرة قد اشتملت علـى تفصـيل جميـع مجملات الفاتحة فقوله: الحمد تفصيله: ما وقع فيهـا مـن الأمر بالذكر في عدة آيات ومن الدعاء في قولـه: ﴿ **أُجِيـب دعوةَ الداعِ إِذَا دعان** ﴾ وفي قوله﴿ **ربنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نسِينَا أَو أَخْطَأْنَا ربنَا ولاَ تَحمِلْ علَينَا إِصرا كَما حملْتَه علَى الَّذِين مِن قَبلِنَا ربنَا ولاَ تُحملْنَا ما لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ واعفُ عنا واغْفِر لَنَا وارحمنَا أَنتَ مولاَنَا فَانْصرنَا علَـى الْقَـومِ الْكَـافِرِين**﴾ وبالشكر في قوله: ﴿ **فَاذْكُرونِي أَذْكُركُم واشْـكُروا لِـي ولاَ تَكْفُرون**﴾

وقوله: ﴿رب الْعالَمِين﴾ تفصيله قوله:﴿ اعبـدوا ربكُـم الَّذِي خَلَقَكُم والَّذِين مِن قَبلِكُم لَعلَّكُم تَتَّقُون *الَّذِي جعـلَ لَكُـم الأَرض فِراشًا والسماء بِنَاء وأَنْزلَ مِن السماءِ ماء فَأَخْرج بِهِ مِن الثَّمراتِ رِزقًا لَكُم فَلاَ تَجعلُوا ـ أَنْدادا وأَنْـتُم تَعلَمـون﴾

وقوله﴿ هو الذِي خَلَقَ لَكُم ما فِي الأَرضِ جمِيعا ثُم اسـتَوى إِلَى السماءِ فَسواهن سبع سماواتٍ وهو بِكُل شَيءٍ علِيم

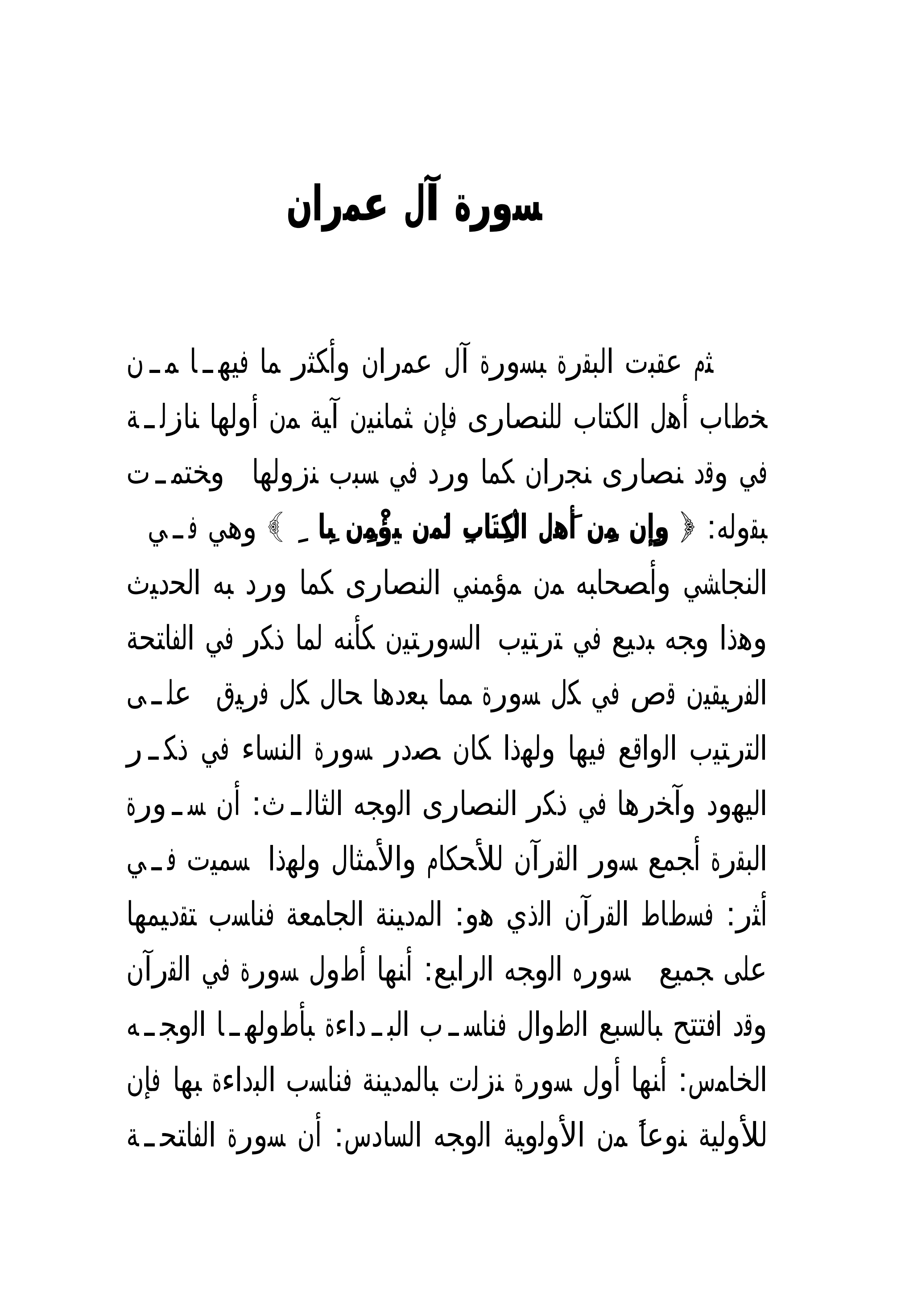
ولذاك افتتحها بقصة خلق آدم الذي هو مبدأ البشر وهو أشرف الأنواع من العالمين وذلك وقوله: ﴿ **الرحمن الرحِيم** ﴾ قد أومأ إليه بقوله في قصة آدم﴿ **فَتَاب علَيكُم إِنه هو التواب الرحِيم**﴾ وفي قصة إبراهيم لما سأل الرزق للمؤمنين خاصـة بقوله: ﴿ **وارزقْ أَهلَه مِن الثمراتِ من آمن** ﴾ فقال: ﴿**ومن كَفَر فَأُمتعه قَلِيلاً**﴾ وذلك لكونه رحماناً وما وقع فـي قصـة بني إسرائيل: ﴿ **ثُم عفَونَا عنكُم** ﴾ إلى أن أعاد الآية بجملتها في قوله: ﴿إلا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ وذكر آية الـدين إرشاداً للطالبين من العباد ورحمة بهم ووضع عنهم الخطـأ والنسيان والإصر وما لا طاقة لهم به وختم بقوله: ﴿**واعفُ عنا واغْفِر لنَا وارحمنَا**﴾ وذلك شـرح قولـه: ﴿الـرحمن الرحيم﴾ وقوله: ﴿ **مالِكِ يومِ الدين**﴾ تفصيله: ما وقـع مـن ذكر يوم القيامة في عدة مواضع ومنها قوله: ﴿ **إِن تُبدوا مـا فِي أَنْفُسِكُم أَو تُخْفُوه يحاسِبكُم بِهِ ا ُ** ﴾ والدين في الفاتحة: الحساب في البقرة وقوله: ﴿**إِياك نَعبد**﴾ مجمل شامل لجميـع أنواع الشريعة الفروعية وقد فصلت في البقرة أبلغ تفصـيل



فذكر فيها فذكر فيها: الطهارة والحيض والصلاة والاسـتقبال وطهارة المكان والجماعة وصلاة الخوف وصـلاة الجمـع والعيد والزكاة بأنواعها كالنبات والمعادن والاعتكاف والصوم وأنواع الصدقات والبر والحج والعمـرة والبيـع والإجـارة والميراث والوصية والوديعة والنكاح والصـداق والطـلاق والخلع والرجعـة والإيـلاء والعـدة والرضـاع والنفقـات القصاص والديات وقتال البغاة والردة والأشـربة والجهـاد والأطعمة والذبائح والأيمان والنذور والقضـاء والشـهادات والعتق فهذه أبواب الشريعة كلها مذكورة في هـذه السـورة وقوله: {وإياك نستعين} شامل لعلم الأخلاق وقد ذكر منها في هذه السورة الجم الغفير من التوبة والصبر والشكر والرضى والتفويض والذكر والمراقبة والخوف وإلانة القـول وقولـه: ﴿ **اهدِنَا الصراطَ المسـتَقِيم** ﴾ إلى آخره تفصيله: ما وقع في السورة من ذكر طريق الأنبياء ومن حاد عنهم من النصارى ولهذا ذكر في الكعبة أنها قبلة إبراهيم فهي من صراط الذين أنعم عليهم وقد حاد عنها اليهود والنصارى معاً ولذلك قـال في قصتها: ﴿ **يهدِي من يشَاء إِلى صِراطٍ مستَقِيمٍ**﴾ تنبيهـاً على أنها الصراط الذي سألوا الهداية إليه ثم ذكر: ﴿**وإن**

أَتَيتَ الذِين أُوتُوا الْكِتَاب بِكُل آيةٍ ما تَبِعـوا قِبلَتَـك ﴾ وهـم المغضوب عليهم والضالون الذين حادوا عن طريقهم ثم أخبر بهداية الذين آمنوا إلى طريقهم ثم قال: ﴿ **وا ُ يهـدِي مـن يشَاء إِلَى صِراطٍ مستَقِيمٍ** ﴾ فكانت هاتان الآيتـان تفصـيل إجمال ﴿**اهدِنَا الصراطَ الْمستَقِيم**﴾ إلى آخر السورة وأيضـاً قوله أول السورة: ﴿**هدى للْمتقِين** ﴾ إلى آخره فـي وصـف الكتاب إخبار بأن الصراط الذي سألوا الهداية إليه هـو: مـا تضمنه الكتاب وإنما يكون هداية لمن اتصف بما ذكـر مـن صفات المتقين ثم ذكر أحوال الكفرة ثم أحوال المنافقين وهم من اليهود وذلك تفصيل لمن حاد عن الصراط المستقيم ولـم يهتد بالكتاب وكذلك قوله هنا: ﴿ **قُولُوا آمنا بِا ِ وما أُنْـزِلَ إِلَينَا وما أُنْزِلَ إِلَى إِبراهِيم وإِسماعِيلَ وإِسـحاقَ ويعقُـوب والأَسباطِ** ﴾ فيه تفصيل النبيين المـنعم علـيهم وقـال فـي آخرها: ﴿ **لاَ نُفَرقُ بين أَحدٍ منْهم**﴾ تعريفاً بالمغضوب عليهم والضالين الذين فرقوا بين الأنبياء وذلك عقبها بقوله: ﴿ **فَإِن آمنُوا بِمِثْلِ ما آمنْتُم بِهِ فَقَدِ اهتَدوا** ﴾أي: إلى الصـراط المستقيم صراط المنعم عليهم كما اهتديتم فهذا ما ظهر لـي وا أعلم بأسرار كتابه الوجه الثاني: أن الحديث والإجمـاع

على تفسير المغضوب عليهم باليهود والضـالين بالنصـارى
وقد ذكروا في سورة الفاتحة على حسب ترتيبهم في الزمان
فعقب بسورة البقرة وجميع ما فيها من خطاب أهل الكتـاب
لليهود خاصة وما وقع فيها من ذكر الصارى لم يقـع بـذكر
الخطاب



سورة آل عمران

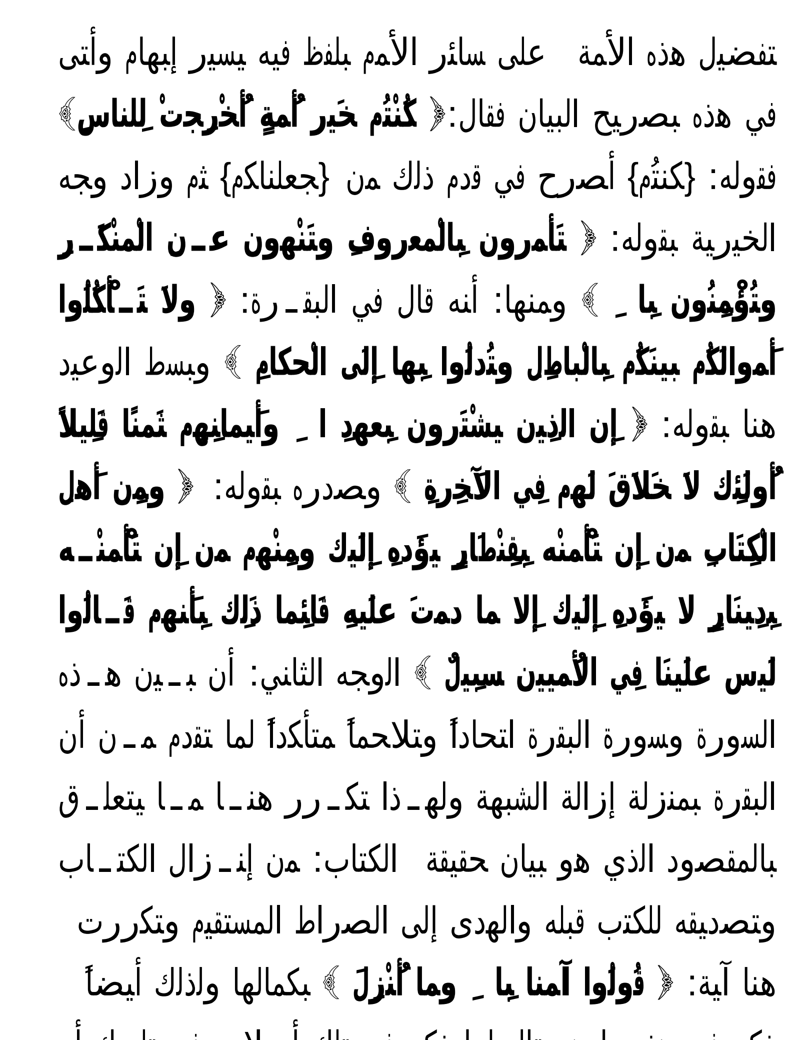
ثم عقبت البقرة بسورة آل عمران وأكثر ما فيهـا مـن خطاب أهل الكتاب للنصارى فإن ثمانين آية من أولها نازلـة في وفد نصارى نجران كما ورد في سبب نزولها وختمـت بقوله: ﴿ **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله** ﴾ وهي فـي النجاشي وأصحابه من مؤمني النصارى كما ورد به الحديث وهذا وجه بديع في ترتيب السورتين كأنه لما ذكر في الفاتحة الفريقين قص في كل سورة مما بعدها حال كل فريق علـى الترتيب الواقع فيها ولهذا كان صدر سورة النساء في ذكـر اليهود وآخرها في ذكر النصارى الوجه الثالـث: أن سـورة البقرة أجمع سور القرآن للأحكام والأمثال ولهذا سميت فـي أثر: فسطاط القرآن الذي هو: المدينة الجامعة فناسب تقديمها على جميع سوره الوجه الرابع: أنها أطول سورة في القرآن وقد افتتح بالسبع الطوال فناسـب البـداءة بأطولهـا الوجـه الخامس: أنها أول سورة نزلت بالمدينة فناسب البداءة بها فإن للأولية نوعاً من الأولوية الوجه السادس: أن سورة الفاتحـة

كما ختمت بالدعاء للمؤمنين بألا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم والا الضالين إجمالاً ختمت سورة البقرة بالدعاء بـألا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطـأ والنسـيان وحمـل الإصر ومالا طاقة لهم به تفصيلاً وتضـمن آخرهـا أيضـاً الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين بقولـه: ﴿ **لاَ نُفَرِّقُ بين أَحدٍ منْهم**﴾ فتآخت السورتان وتشابهتا في المقطع وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق وقد ورد فـي الحديث التأمين في آخر سورة البقرة كما هو مشـروع فـي آخر الفاتحة فهذه ستة وجوه ظهرت لي و الحمد والمنة قد تقدم ما يؤخذ منه مناسبة وضعها قال الإمام: لما كانت هـذه السورة قرينة سورة البقرة وكالملكة لها افتتحت بتقريـر مـا افتتحت به تلك وصرح في منطوق مطلعها بما طـوى فـي مفهوم تلك وأقول: قد ظهر لي بحمد ا وجوه من المناسبات أحدها: مراعاة القاعدة التي قررتها من شـرح كـل سـورة لإجمال ما في السورة قبلها وذلك هنا في عدة مواضع منها: ما أشار إليه الإمام فإن أول البقرة افتتح بوصف الكتاب بأنه لا ريب فيه وقال في آل عمران: ﴿ **نَزلَ عليْك الْكِتَاب بِالْحق مصدقًا لما بين يديهِ** ﴾وذاك بسط وإطناب لنفي الريب عنـه

ومنها: أنه ذكر في البقرة إنزال الكتاب مجملاً وقسمه هنا إلى آيات محكمات ومتشابهات لا يعلم تأويلها إلا ا ومنها: أنـه قال في البقرة: ﴿ **وا ُ يؤْتِي ملْكَه من يشَاء** ﴾ وقـال هنـا: ﴿ **قُلِ اللهم مالِك الْملْكِ تُؤْتِي الْملْك من تَشَاء وتَنزِع الْملْـك مِمن تَشَاء وتُعِز من تَشَاء وتُذِلُ من تَشَاء بِيدِك الْخَير إِنـك علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير** ﴾ فزاد إطناباً وتفصيلاً ومنها: أنه حذر من الربا في البقرة ولم يزد على لفظ الربا إيجازاً وزاد هنـا قول)أضعافاً ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿ **وأَتِمـوا الْحـج** ﴾ وذلك إنما يدل على الوجوب إجمالاً وفصله هنا بقوله: ﴿ **و ـ علَى الناسِ حِج الْبيتِ**﴾ وزاد: بيان شرط الوجوب بقوله: ﴿ **ومن كَفَر فَإِن ا َ غَنِي عنِ الْعالَمِين**﴾

ومنها: أنه قال في البقرة في أهل الكتاب: ﴿ **ثُم تَوليتُم إِلا قَلِيلاً**﴾فأجمل القليل وفصله هنا بقوله: {ليسوا سـواء مـن أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات ا آناء الليل وهم يسجدون ومنها: أنه قال في البقرة: ﴿ **قُلْ أَتُحاجونَنَا فِي ا ـ وهو ربنَا وربكُم ولَنَا أَعمالُنَا ولَكُم أَعمالُكُم ونَحن لَه مخْلِصون**﴾

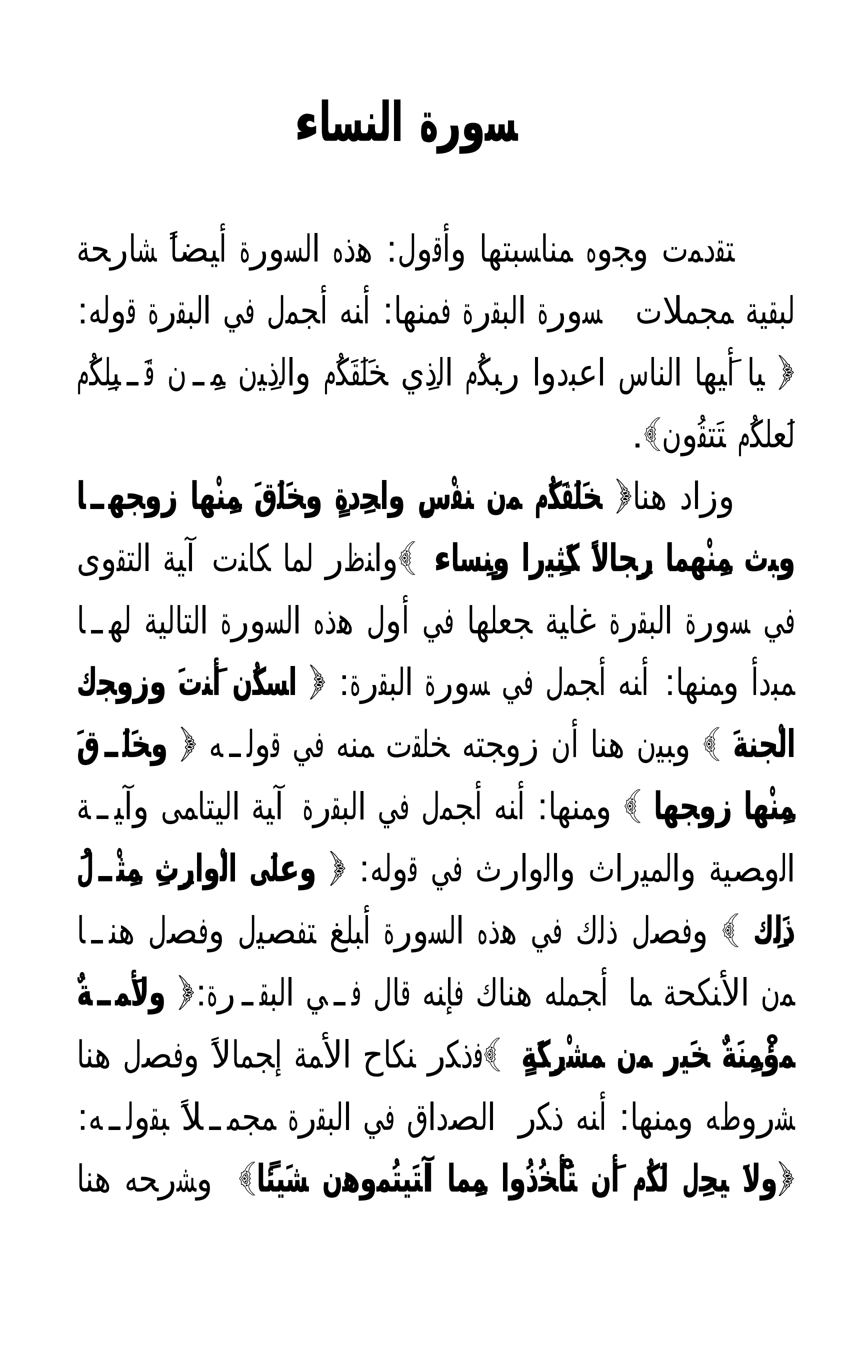
فدل بها على تفضيل هذه الأمة على اليهود تعريضاً لا تصريحاً وكذلك قوله: ﴿ **وكَذَلِك جعلْنَاكُم أُمةً وسـطًا** ﴾ فـي



تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم بلفظ فيه يسير إبهام وأتى في هذه بصريح البيان فقال:﴿ **كُنْتُم خَير أُمةٍ أُخْرِجتْ لِلناس**﴾ فقوله: {كنتُم} أصرح في قدم ذلك من {جعلناكم} ثم وزاد وجه الخيرية بقوله: ﴿ **تَأمرون بِالْمعروفِ وتَنْهون عـن الْمنْكَـر وتُؤْمِنُون بِا ـ** ﴾ ومنها: أنه قال في البقـرة: ﴿ **ولاَ تَـأْكُلُوا أَموالَكُم بينَكُم بِالْباطِلِ وتُدلُوا بِها إِلَى الْحكامِ** ﴾ وبسط الوعيد هنا بقوله: ﴿ **إِن الَذِين يشْتَرون بِعهدِ ا ـ وأَيمانِهِم ثَمنًا قَلِيلاً أُولَئِك لاَ خَلاَقَ لَهم فِي الآخِرةِ** ﴾ وصدره بقوله: ﴿ **ومِن أَهلِ الْكِتَابِ من إِن تَأْمنْه بِقِنْطَارٍ يؤَدهِ إِلَيك ومِنْهم من إِن تَأْمنْـه بِدِينَارٍ لا يؤَدهِ إِلَيك إِلا ما دمتَ علَيهِ قَائِما ذَلِك بِأَنهم قَـالُوا لَيس علَينَا فِي الأُميين سبِيلٌ** ﴾ الوجه الثاني: أن بـين هـذه السورة وسورة البقرة اتحاداً وتلاحماً متأكداً لما تقدم مـن أن البقرة بمنزلة إزالة الشبهة ولهـذا تكـرر هنـا مـا يتعلـق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب: من إنـزال الكتـاب وتصديقه للكتب قبله والهدى إلى الصراط المستقيم وتكررت هنا آية: ﴿ **قُولُوا آمنا بِا ـ وما أُنْزِلَ** ﴾ بكمالها ولذلك أيضاً ذكر في هذه ما هو تال لما ذكر في تلك أو لازم في تلـك أو لازم له فذكر هناك خلق الناس وذكر هنـا تصـويرهم فـي

الأرحام وذكر هناك مبدأ خلق آدم وكذر هنا مبدأ خلق اولاده وألطف من ذلك: أنه افتتح البقرة بقصة آدم حيث خلقه مـن غير أب ولا أم وذكر في هذه نظيره في الخلق من غيـر أب وهو عيسى عليه السلام ولذلك ضـرب لـه المثـل بـآدم واختصت البقرة بآدم لأنها أول السور وآدم أول في الوجـود وسابق ولأنها الأصل وهذه كالفرع والتتمـة لهـا فمختصـة بالإعراب والبيان ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مـريم ما قالوا وأنكروا وجود ولد بلا أب ففوتحوا بقصة آدم لتثبيت في أذهانهم فلا تأتي قصة عيسى إلا وقد ذكـر عنـدهم مـا يشبهها من جنسها ولأن قصة عيسى قيست على قصة آدم في قوله: {كمثل آدم} الآية والمقيس عليه لا بد وأن يكون معلوماً لتتم الحجة بالقياس فكانت قصة آدم والسورة التي هي فيهـا جديرة بالتقدم ومن وجوه تلازم السورتين: أنه قال في البقرة في صفة النار:﴿ **أُعِدتْ لِلْكَافِرِين**﴾ولم يقل في الجنة: أعـدت للمتقين مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معاً وقال ذلك في آخر آل عمران في قولـه: ﴿ **وجنـةٍ عرضـها السـماواتُ والأرض أُعِدتْ لِلْمتقِـين**﴾. فكان السورتين بمنزلـة سـورة واحدة وبذلك يعرف أن تقديم آل عمران على النساء أنسـب

من تقديم النساء عليها وأمر آخر اسـتقرأته وهـو: أنـه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة علـى الاتحـاد وفـي السورة المستقلة عما بعدها يكون آخر السورة نفسها مناسب لأولها وآخر آل عمران مناسب لأول البقرة فإنهـا افتتحـت بذكر المتقين وأنهم المفلحون ﴾وختمت آل عمـران بقولـه: ﴿ **واتقُوا ا َ لَعلكُم تُفْلِحون**﴾وافتتحت القرة بقوله: ﴿ **والذِين يؤْمِنُون بِما أُنْزِلَ إِلَيك وما أُنْزِلَ**﴾ وختمت آل عمران بقوله: ﴿ **وإِن مِن أَهلِ الْكِتَابِ لَمن يؤْمِن بِا ِ وما أُنْزِلَ إِلَيكُم ومـا أُنْزِلَ إِلَيهِم** ﴾فلله الحمد على ما ألهم وقد ورد أنه لما نزلـت: ﴿ **من ذَا الذِي يقْرِض ا َ قَرضا حسنًا** ﴾ قال اليهـود: يـا محمد افتقر ربك فسأل القرض عباده فنزل قوله: ﴿ **لَقَد سمِع ا ُ قَولَ الذِين قَالُوا إِن ا َ فَقِير ونَحن أَغْنِياء** ﴾ ووقع فـي البقرة حكاية عن إبراهيم: ﴿**ربنَا وابعثْ فِيهِم رسولاً مِـنْهم يتْلُو علَيهِم آياتِك**﴾ونزل في هـذه:﴿ **لَقَـد مـن ا ُ علَـى الْمؤمِنِين إِذْ بعثَ فِيهِم رسولاً من أَنْفُسِهِم يتْلُو علَيهِم آياتِهِ**﴾ وذلك أَيضاً من تلازم السورتين.



سورة النساء

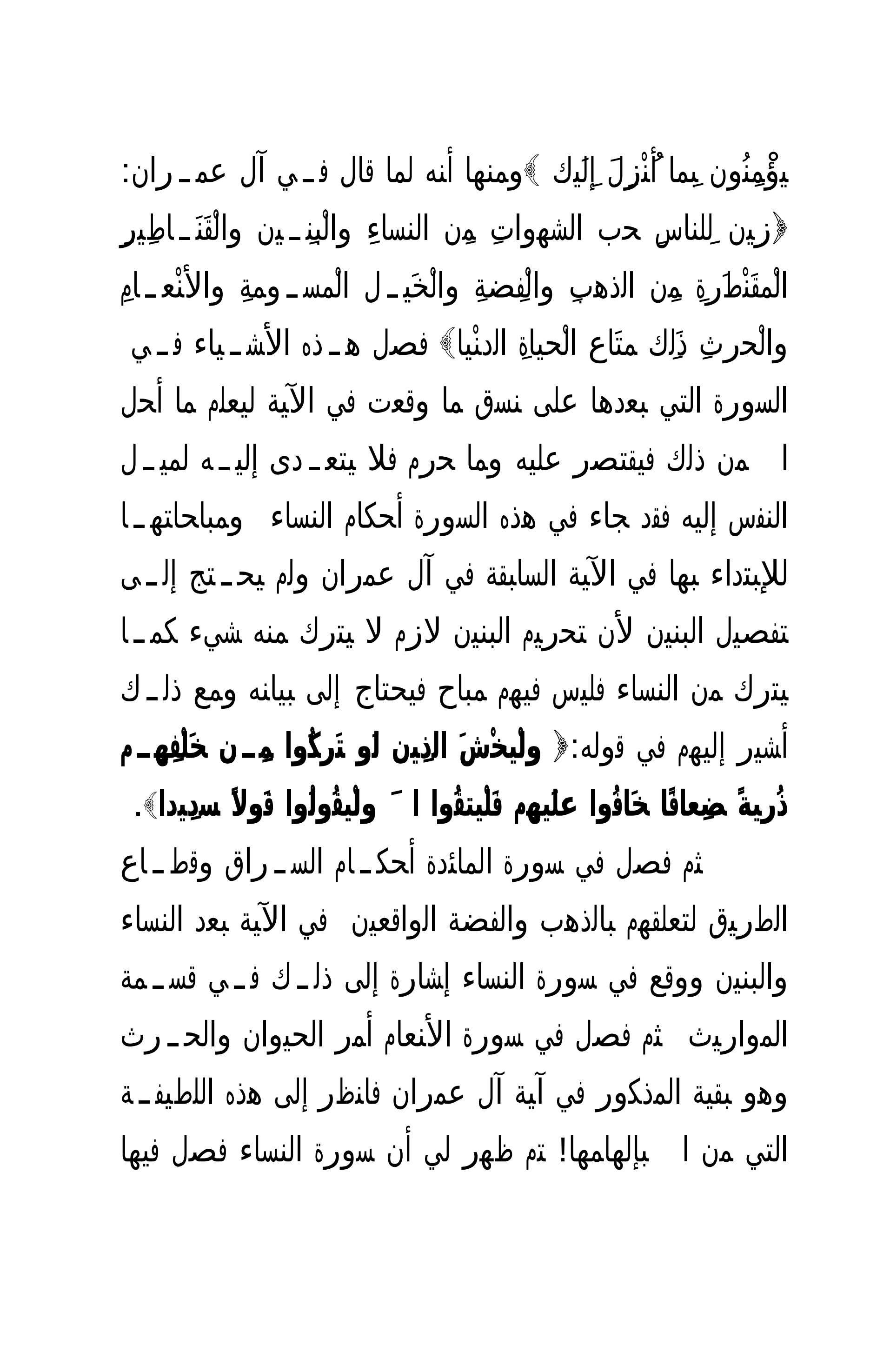
تقدمت وجوه مناسبتها وأقول: هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة فمنها: أنه أجمل في البقرة قوله: ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

وزاد هنا﴿ **خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء** ﴾وانظر لما كانت آية التقوى في سورة البقرة غاية جعلها في أول هذه السورة التالية لها مبدأ ومنها: أنه أجمل في سورة البقرة: ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ وبين هنا أن زوجته خلقت منه في قوله ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾ ومنها: أنه أجمل في البقرة آية اليتامى وآية الوصية والميراث والوارث في قوله: ﴿ **وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾ وفصل ذلك في هذه السورة أبلغ تفصيل وفصل هنا من الأنكحة ما أجمله هناك فإنه قال في البقرة:﴿ **ولأمة مؤمنة خير من مشركة** ﴾فذكر نكاح الأمة إجمالاً وفصل هنا شروطه ومنها: أنه ذكر الصداق في البقرة مجملاً بقوله: ﴿**ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا**﴾ وشرحه هنا

مفصلاً ومنها: أنه ذكر هناك الخلع وذكر هنا أسبابه ودواعيه من النشوز وما يترتب عليه وبعث الحكمين ومنها: أنه فصل هنا من أحكام المجاهدين وتفضيلهم درجات والهجرة ما وقع هناك مجملاً أو مرموزاً وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحـة: تفسير: ﴿ **الذين أنعمت عليهم** ﴾ بقولـه: ﴿ **مـن النبيـين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ وأما وجه اعتلاقها بـآل عمران فمن وجوه: منها: أن آل عمـران ختمـت بـالأمر بالتقوى وافتتحت هذه السورة به وهـذا مـن أكبـر وجـوه المناسبات في ترتيب السور وهو نوع من البـديع يسـمى: تشابه الأطراف ومنها أن سورة آل عمران ذكر فيها قصـة أحد مستوفاة وذكر في هذه السورة ذيلها وهو قوله: ﴿ **فمـا لكم في المنافقين فئتين** ﴾ فإنها نزلت لما اختلاف الصـحابة فيمن رجع من المنافقين من غزوة أحد كمـا فـي الحـديث ومنها: أن في آل عمران ذكرت الغزوة التي بعد أحد بقوله: ﴿ **الذين استجابوا ـ والرسول من بعد ما أصابهم القـرح**﴾ وأشير إليها هنا بقوله: ﴿ **ولا تهنوا فـي ابتغـاء القـوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**﴾ وبهذين الـوجين عرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب مـن تقـديمها

عليها في مصحف ابن مسعود لأن المذكور هنا ذيل ما فـي آل عمران ولاحقه وتابعه فكانت بالتأخير أنسب ومنها: أنـه ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب وأقيمـت لـه الحجة بآدم وفي ذلك تبرئة لأمه خلافاً لما زعـم اليهـود وتقرير لعبوديته خلافاً لما ادعته النصارى وذكر فـي هـذه السورة الرد على الفريقين معاً: فرد على اليهـود بقولـه: ﴿ **وقولهم على مريم بهتانًا عظيما﴾**

وعلى النصارى بقوله﴿ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُم ولاَ تَقُولُـوا على ا ـ إلا الْحق إنما الْمسِيح عِيسى ابن مـريم رسـولُ ا ـ وكلِمتُه أَلْقَاها إلى مريم وروح منْه ﴾ إلى قوله: ﴿ لَن يستَنكِفَ الْمسِيح أَن يكُون عبدا ـ ﴾ ومنها: أنه لمـا ذكـر فـي آل عمران: ﴿ إني متَوفيك ورافِعك إلَي ﴾ رد هنا على من زعم قتله بقوله:﴿ وقَولِهم إنا قَتَلْنَا الْمسِيح عِيسى ابن مريم رسـولَ ا ـ وما قَتَلُوه وما صلَبوه ولَكِن شُبه لَهم وإِن الَذِين اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَك منْه ما لَهم بِهِ مِن عِلْمٍ إلا اتباع الظن وما قَتَلُوه يقِينًا *بل رفَعه ا ُ إلَيهِ ﴾ ومنها: أنه لما قال في آل عمران فـي المتشابه: ﴿ والراسِخُون فِي الْعِلْمِ يقُولُون آمنا بِهِ كُل من عِنْدِ ربنَا ﴾ قال هنا:﴿ لَكِن الراسِخُون فِي الْعِلْمِ مِنْهم والْمؤْمِنُـون

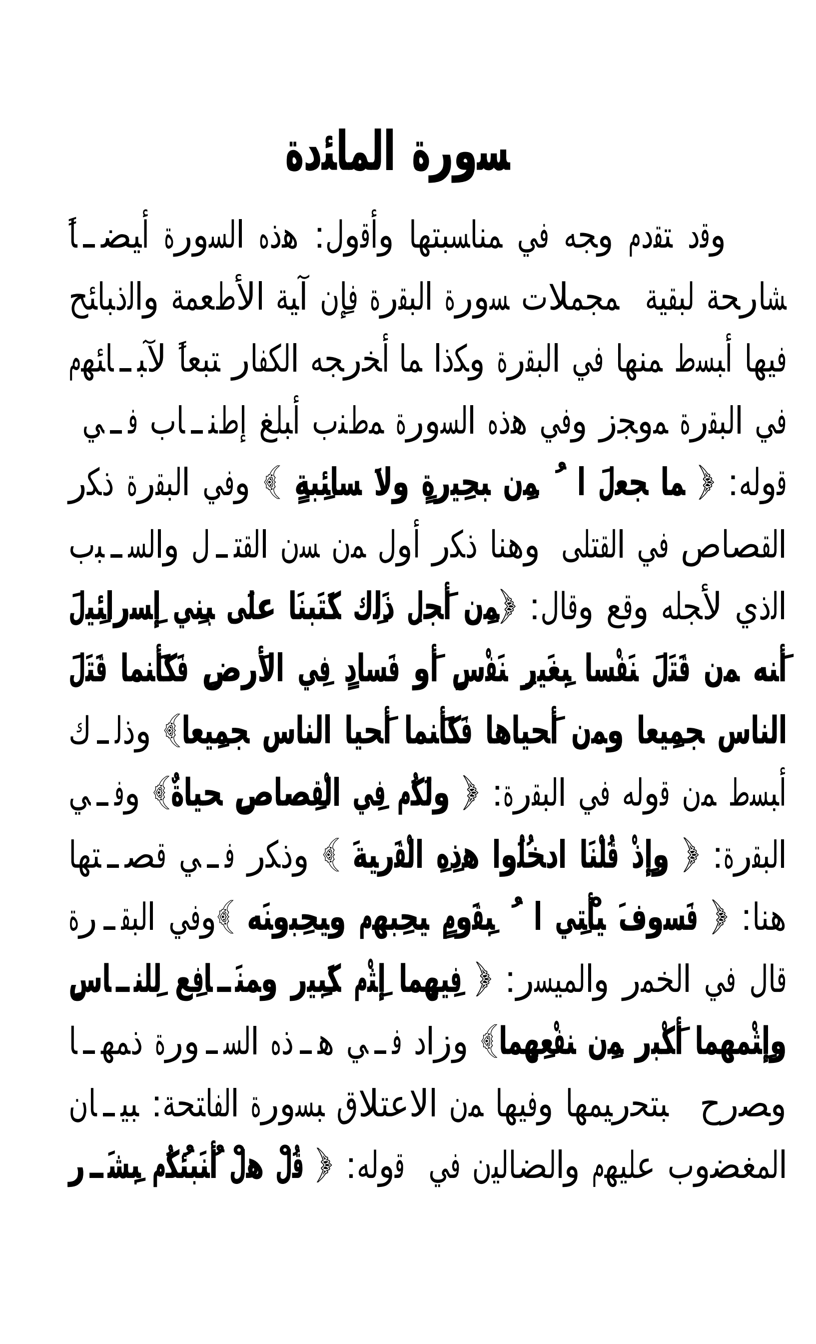


يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ومنها أنه لما قال في آل عمران: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ فصل هذه الأشياء في السورة التي بعدها على نسق ما وقعت في الآية ليعلم ما أحل ا من ذلك فيقتصر عليه وما حرم فلا يتعدى إليه لميل النفس إليه فقد جاء في هذه السورة أحكام النساء ومباحاتها للإبتداء بها في الآية السابقة في آل عمران ولم يحتج إلى تفصيل البنين لأن تحريم البنين لازم لا يترك منه شيء كما يترك من النساء فليس فيهم مباح فيحتاج إلى بيانه ومع ذلك أشير إليهم في قوله: ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا ا وليقولوا قولا سديدا**﴾.

ثم فصل في سورة المائدة أحكام السراق وقطاع الطريق لتعلقهم بالذهب والفضة الواقعين في الآية بعد النساء والبنين ووقع في سورة النساء إشارة إلى ذلك في قسمة المواريث ثم فصل في سورة الأنعام أمر الحيوان والحرث وهو بقية المذكور في آية آل عمران فانظر إلى هذه اللطيفة التي من ا بإلهامها! ثم ظهر لي أن سورة النساء فصل فيها

ذكر البنين أيضاً لأنه لما أخبر بحب الناس لهم وكان من ذلك إيثارهم على البنات في الميراث وتخصيصهم به دونهن تولى قسمة المواريث بنفسه فقال: ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ وقال: ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب** ﴾ فرد على ما كانوا يصنعون من تخصيص البنين بالميراث لحبهم لهم فكان ذلك تفصيلاً لما يحل ويحرم من إيثار البنين اللازم عن الحب وفي ضمن ذلك تفصيل لما يحل للذكر أخذه من الذهب والفضة وما يحرم ومن الوجوه المناسبة لتقدم آل عمران على النساء: اشتراكها مع البقرة في الافتتاح بإنزال الكتاب وفي الافتتاح ب {الم} وسائر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة كيونس وتواليها ومريم وطه والطواسين و {الم} العنكبوت وتواليها والحواميم وفي ذلك أول دليل على اعتبار المناسبة في الترتيب بأوائل السور ولم يفرق بين السورتين من ذلك بما ليس مبدوءاً به سوى بين الأعراف ويونس اجتهاداً لا توقيفاً والفصل بالزمر بين [حم] غافر و [ص] وسيأتي (اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران) فكان

افتتاح القرآن بهما نظير اختتامه بسـورتي الفلـق والنـاس المشتركتين في التسمية بالمعوذتين

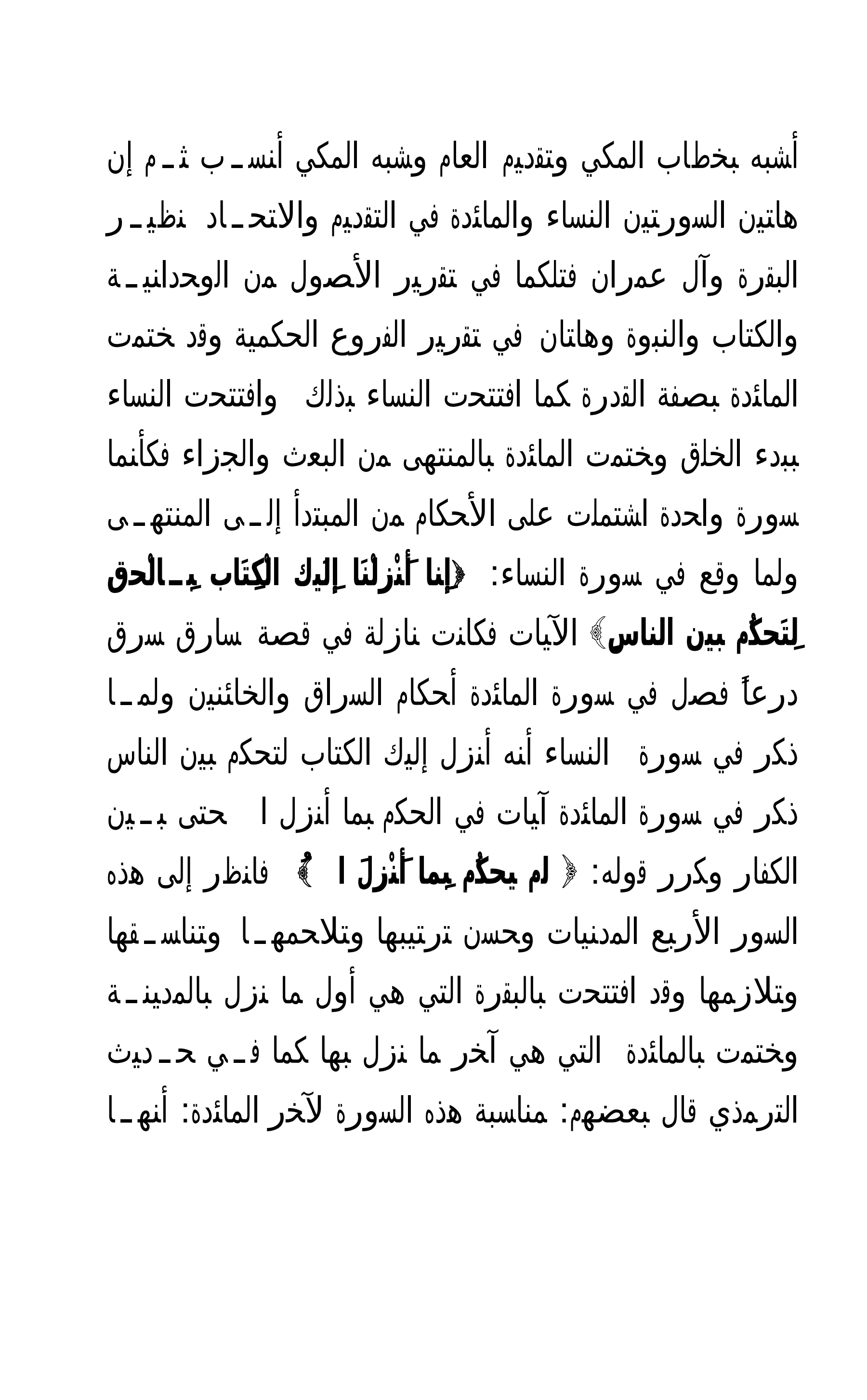


سورة المائدة

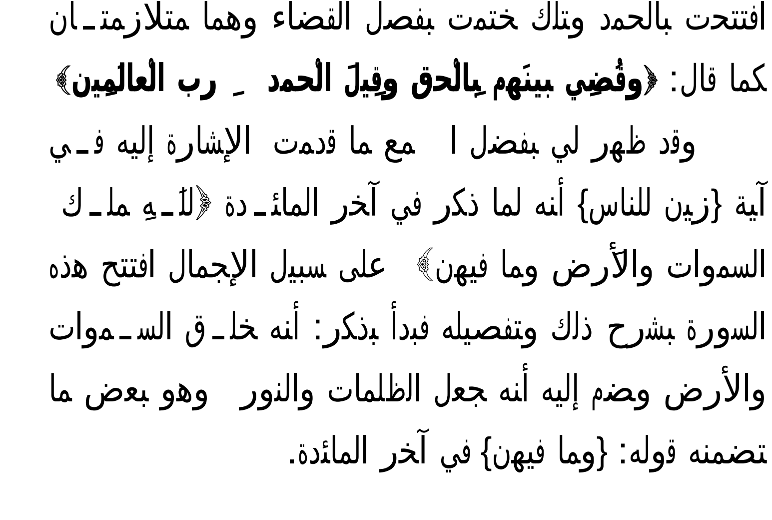
وقد تقدم وجه في مناسبتها وأقول: هذه السورة أيضـاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة فإن آية الأطعمة والذبائح فيها أبسط منها في البقرة وكذا ما أخرجه الكفار تبعاً لآبـائهم في البقرة موجز وفي هذه السورة مطنب أبلغ إطنـاب فـي قوله: ﴿ **ما جعلَ ا ُ مِن بحِيرةٍ ولاَ سائِبةٍ** ﴾ وفي البقرة ذكر القصاص في القتلى وهنا ذكر أول من سن القتـل والسـبب الذي لأجله وقع وقال: ﴿**مِن أَجلِ ذَلِك كَتَبنَا علَى بنِي إِسرائِيلَ أَنه من قَتَلَ نَفْسا بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسادٍ فِي الأَرضِ فَكَأَنما قَتَلَ الناس جمِيعا ومن أَحياها فَكَأَنما أَحيا الناس جمِيعا**﴾ وذلـك أبسط من قوله في البقرة: ﴿ **ولَكُم فِي الْقِصاصِ حياةٌ**﴾ وفـي البقرة: ﴿ **وإِذْ قُلْنَا ادخُلُوا هذِهِ الْقَريةَ** ﴾ وذكر فـي قصـتها هنا: ﴿ **فَسوفَ يأْتِي ا ُ بِقَومٍ يحِبهم ويحِبونَه** ﴾وفي البقـرة قال في الخمر والميسر: ﴿ **فِيهِما إِثْم كَبِير ومنَـافِع لِلنـاسِ وإِثْمهما أَكْبر مِن نفْعِهِما**﴾ وزاد فـي هـذه السـورة ذمهـا وصرح بتحريمها وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة: بيـان المغضوب عليهم والضالين في قوله: ﴿ **قُلْ هلْ أُنَبئُكُم بِشَـر**

من ذَلِك مثُوبةً عِنْد ا ِ من لعنَه ا ُ وغَضِب عليه وقوله: ﴿ **قَد ضلوا مِن قَبلُ وأَضلوا كَثِيـرا وضـلوا عـن سـواءِ السبِيل**﴾.

وأما اعتلاقها بسورة النساء فقد ظهر لي فيه وجه بـديع جداً وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صـريحاً وضمنا فالصريح: عقود الأنكحة وعقد الصداق وعقد الحلف في قوله: ﴿**والَذِين عقَدتْ أَيمانُكُم فَآتُوهم نَصِيبهم**﴾ وعقـد الأيمان في هذه الآية وبعد ذلك عقد المعاهدة والأمـان فـي قوله: ﴿**إِلا الذين يصلون إِلى قوم بيـنَكُم وبيـنَهم ميثـاق**﴾ وقوله: ﴿**وإِن كان مِن قومٍ بينكُم وبيـنهم ميثـاق فديـة**﴾ والضمنى: عقد الوصية والوديعة والوكالة والعارية والإجارة وغير ذلك من الداخل في عموم قوله: ﴿ **إِن ا َ يـأمركُم أَن تُؤَدوا الأمانَاتِ إِلى أَهلِها** ﴾ فناسب أن يعقب بسورة مفتتحـة بالأمر بالوفاء بالعقود فكأنه قيل في المائدة: ﴿**يا أَيها الـذِين آمنُوا أَوفُوا بِالْعقُودِ** ﴾ التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط ووجـه آخر في تقديم سورة النساء وتأخير سورة المائدة وهـو: أن تلك أولها: يا أَيها الناس وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو



أشبه بخطاب المكي وتقديم العام وشبه المكي أنسـب ثـم إن هاتين السورتين النساء والمائدة في التقديم والاتحـاد نظيـر البقرة وآل عمران فتلكما في تقرير الأصول من الوحدانيـة والكتاب والنبوة وهاتان في تقرير الفروع الحكمية وقد ختمت المائدة بصفة القدرة كما افتتحت النساء بذلك وافتتحت النساء ببدء الخلق وختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء فكأنما سورة واحدة اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلـى المنتهـى ولما وقع في سورة النساء: ﴿**إنا أَنْزلْنَا إِلَيكَ الْكِتَاب بِـالْحق لِتَحكُم بين الناس**﴾ الآيات فكانت نازلة في قصة سارق سرق درعاً فصل في سورة المائدة أحكام السراق والخائنين ولمـا ذكر في سورة النساء أنه أنزل إليك الكتاب لتحكم بين الناس ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل ا حتى بـين الكفار وكرر قوله: ﴿ **لم يحكُم بِما أَنْزلَ ا** ﴾ فانظر إلى هذه السور الأربع المدنيات وحسن ترتيبها وتلاحمهـا وتناسـقها وتلازمها وقد افتتحت بالبقرة التي هي أول ما نزل بالمدينـة وختمت بالمائدة التي هي آخر ما نزل بها كما فـي حـديث الترمذي قال بعضهم: مناسبة هذه السورة لآخر المائدة: أنهـا

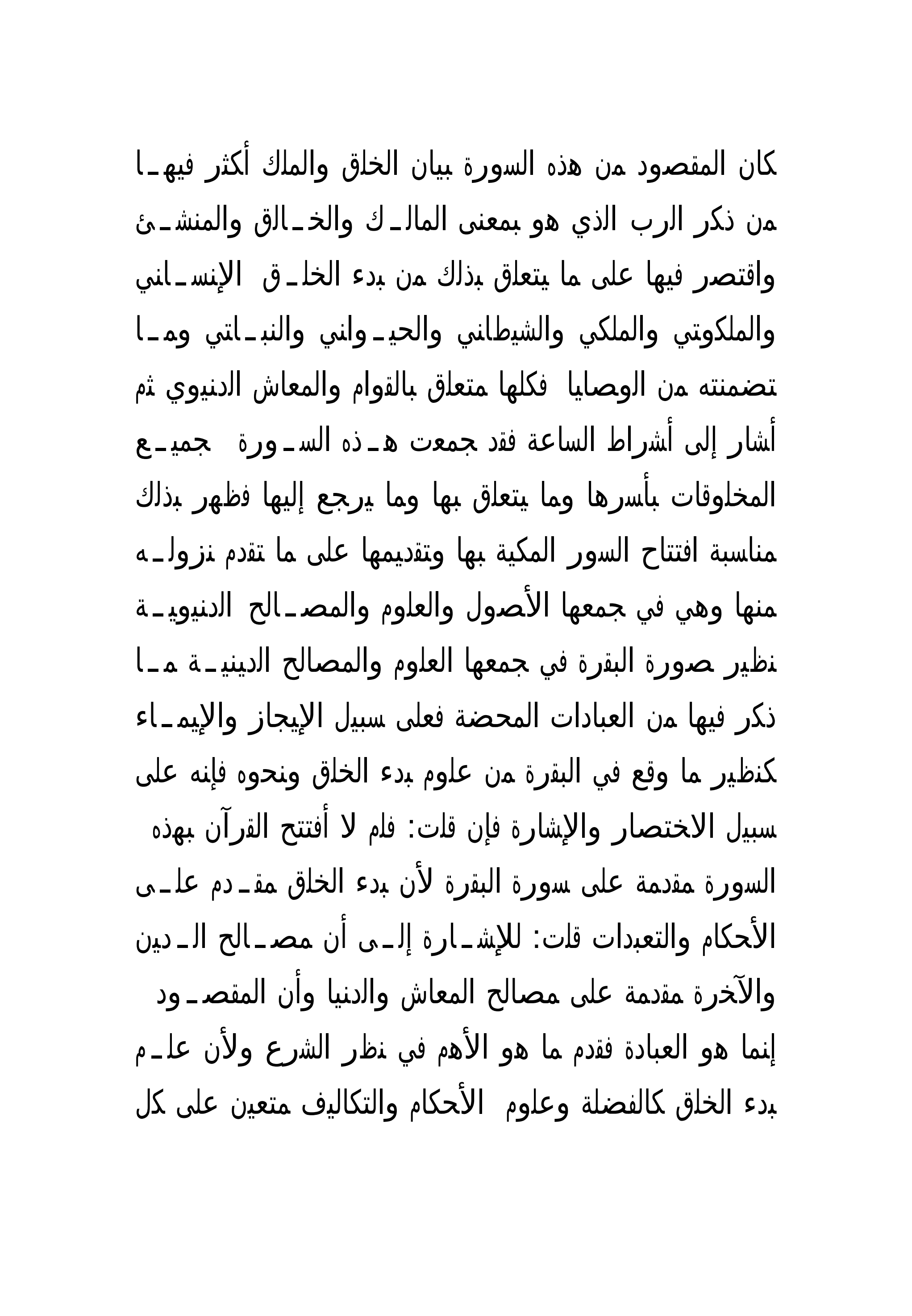


افتتحت بالحمد وتلك ختمت بفصل القضاء وهما متلازمتان كما قال: ﴿**وقُضِي بينَهم بِالْحق وقِيلَ الْحمد ـِ رب الْعالمِين**﴾

وقد ظهر لي بفضل ا مع ما قدمت الإشارة إليه في آية {زين للناس} أنه لما ذكر في آخر المائدة ﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ على سبيل الإجمال افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله فبدأ بذكر: أنه خلق السموات والأرض وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمنه قوله: {وما فيهن} في آخر المائدة.

سورة الأنعام

وضمن قوله: {الحمد } أول الأنعام أن له ملك جميـع المحامد وهو من بسط: ﴿**للهِ ملك السـمواتِ والأرض ومـا فيهن**﴾ في آخر المائدة: ثم ذكر: أنه خلق النـوع الإنسـاني وقضى له أجلاً مسمى وجعل له أجلاً آخر للبعث وأنه منشئ القرون قرنا بعد قرن ثم قال: {قل لمن مـا فـي السـموات والأرض} فأثبت له ملك جميع المنظورات ثم قال: { قل لمن ما في السموات والأرض} فأثبت له ملك جميع المنظـورات ثم قال: }وله ما سكن في الليل والنهار{ فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي الزمان ثم ذكر أنه خلق سائر الحيوان من الدواب والطير ثم خلق النوم واليقظة والموت والحياة ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الخلق والإنشاء لمـا فـيهن مـن النيرين والنجوم وفلق الإصباح وخلق الحب والنوى وإنـزال الماء وإخراج النبات والثمـار بأنواعهـا وإنشـاء جنـات معروشات وغير معروشات والأنعام ومنها حمولـة وفـرش وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن: وهذه مناسبة جليلة ثم لمـا



كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك أكثر فيها من ذكر الرب الذي هو بمعنى المالك والخالق والمنشئ واقتصر فيها على ما يتعلق بذلك من بدء الخلق الإنساني والملكوتي والملكي والشيطاني والحيواني والنباتي وما تضمنته من الوصايا فكلها متعلق بالقوام والمعاش الدنيوي ثم أشار إلى أشراط الساعة فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات بأسرها وما يتعلق بها وما يرجع إليها فظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها وتقديمها على ما تقدم نزوله منها وهي في جمعها الأصول والعلوم والمصالح الدنيوية نظير صورة البقرة في جمعها العلوم والمصالح الدينية ما ذكر فيها من العبادات المحضة فعلى سبيل الإيجاز والإيماء كنظير ما وقع في البقرة من علوم بدء الخلق ونحوه فإنه على سبيل الاختصار والإشارة فإن قلت: فلم لا أفتتح القرآن بهذه السورة مقدمة على سورة البقرة لأن بدء الخلق مقدم على الأحكام والتعبدات قلت: للإشارة إلى أن مصالح الدين والآخرة مقدمة على مصالح المعاش والدنيا وأن المقصود إنما هو العبادة فقدم ما هو الأهم في نظر الشرع ولأن علم بدء الخلق كالفضلة وعلوم الأحكام والتكاليف متعين على كل

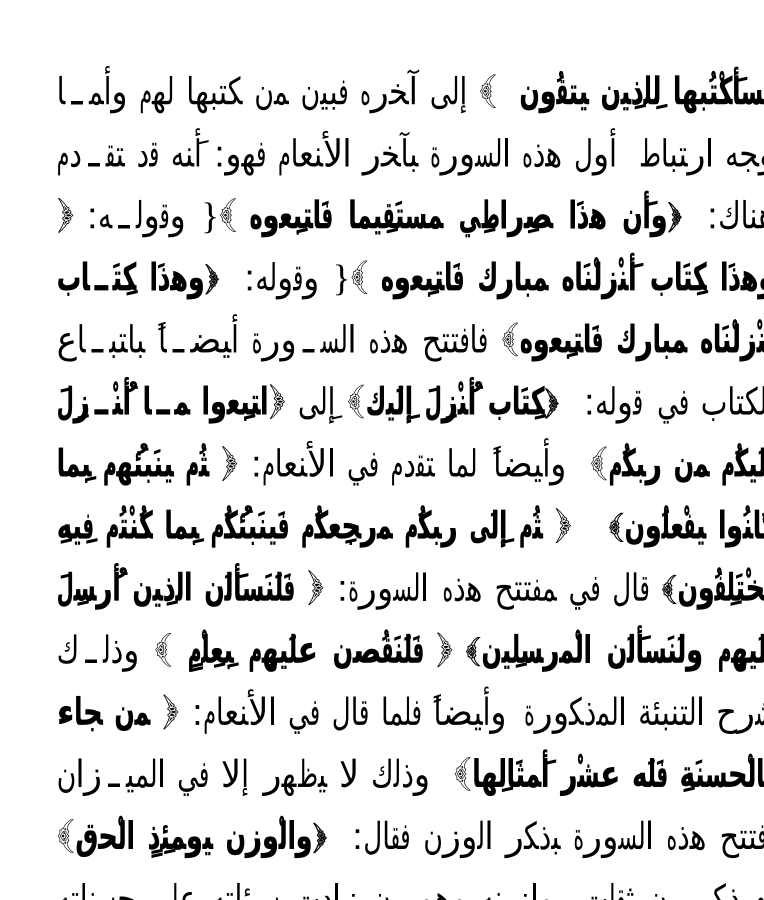
واحد فلذلك لا ينبغي النظر في علم بدء الخلق ومـا جـرى مجراه من التواريخ إلا بعد النظر في علم الأحكام وإتقانه ثم ظهر لي بحمد ا وجه آخر أتقن مما تقدم وهو أنه لما ذكـر في سورة المائدة ﴿ **يا أَيها الَّذِين آمنُوا لاَ تُحرموا طَيباتِ ما أَحل ا ُ لَكُم ولاَ تَعتَدوا**﴾ إلى آخره فأخبر عن الكفـار أنهـم حرموا أشياء مما رزقهم ا افتراء عليه وكان القصد بـذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئاً مما أحل ا فيشابهوا بـذلك الكفار في صنيعهم وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز سـاق هذه السورة لبيان ما حرمه الكفار في صنيعهم فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل ثم جادلهم فيه وأقام الدلائل على بطلانه وعارضهم وناقضهم إلى غير ذلك مما اشتملت عليـه القصة فكانت هذه السورة شرحاً لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الإجمال وتفصيلاً وبسطاً وإتماماً وإطناباً وافتتحت بذكر الخلق والملك لأن الخالق والمالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته إباحة ومنعاً وتحريماً وتحليلاً فيجـب ألا يتعدى عليه بالتصرف في ملكه وكانت هذه السورة بأسرها متعلقة بالفاتحة من وجه كونها شارحة لإجمال قولـه: {ربِ العالمين} وللبقرة من حيث شرحها لإجمـال قولـه: ﴿الـذي

خلقكم والذين من قبلكم﴾ وقوله: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا**﴾ وبآل عمران من جهة تفصيلها لقوله: { **والأنعام والحرث**} وقوله: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ الآية وبالنساء من جهة ما فيها من بدء الخلق والتقبيح لما حرموه على أزواجهم وقتل البنات بالوأد وبالمائدة من حيث اشتمالها على الأطعمة بأنواعها وفي افتتاح السور المكية بها وجهان آخران من المناسبة الأول: افتتاحها بالحمد والثاني: مشابهتها للبقرة المفتتح بها السور المدنية من حيث أن كلاً منهما نزل مشيعاً ففي حديث أحمد: (البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً) وروى الطبراني وغيره من طرق: (أن الأنعام شيعها سبعون ألف ملك) وفي رواية (خمسمائة ملك) ووجه آخر وهو: أن كل ربع من القرآن افتتح بسورة أولها الحمد وهذه للربع الثاني والكهف للربع الثالث وسبأ وفاطر للربع الرابع وجميع هذه الوجوه التي استنبطتها من المناسبات بالنسبة للقرآن كنقطة من بحر ولما كانت هذه السورة لبيان بدء الخلق ذكر فيها ما وقع عند بدء الخلق وهو قوله: ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ ففي الصحيح: (لما

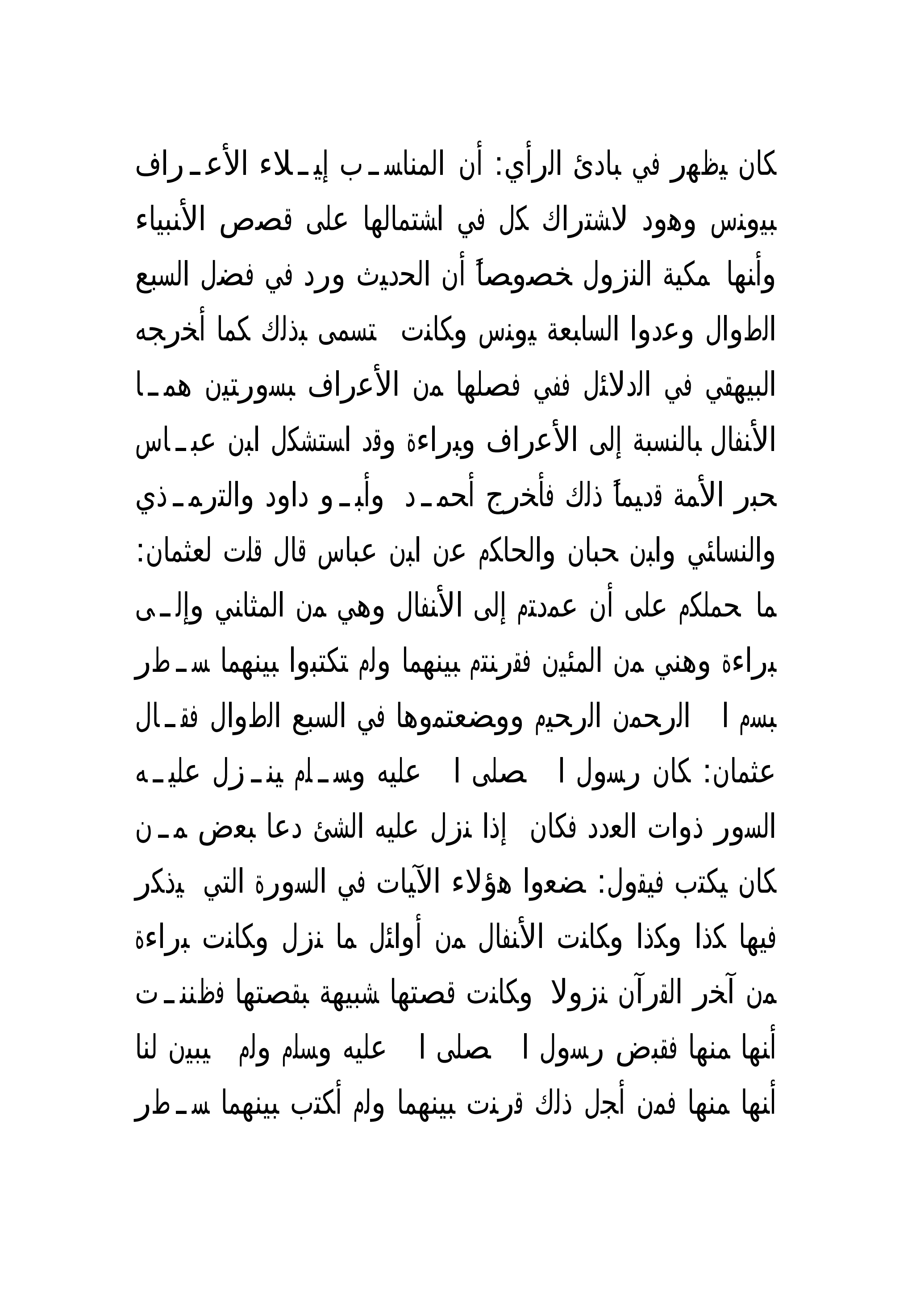
فرغ الله من الخلق وقضى القضية كتب كتاباً عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)

سورة الأعراف

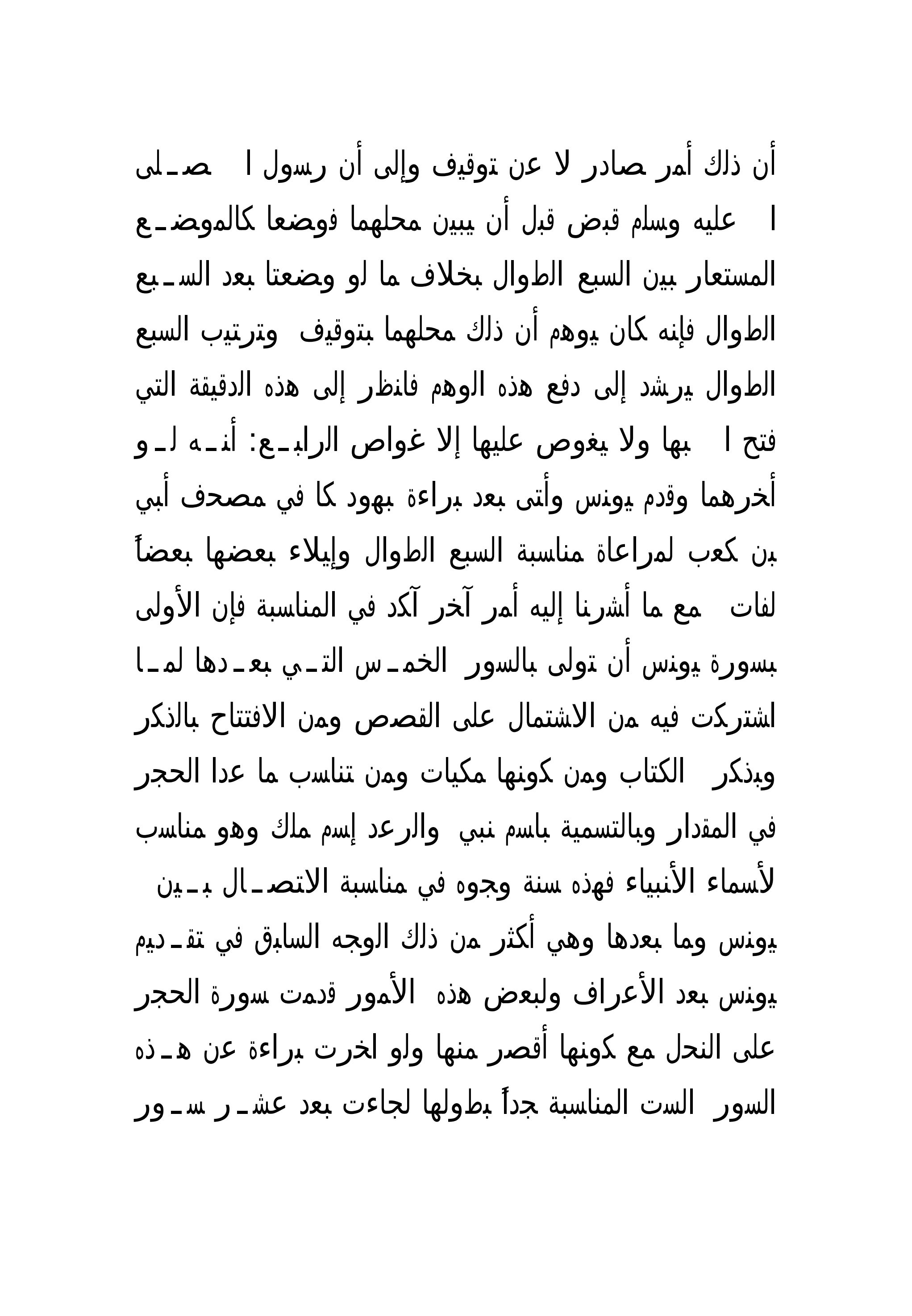
أقول: مناسبة وضع هذه السورة عقب سورة الأنعام فيما ألهمني الله سبحانه: أن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق وقال فيها: ﴿**هو الذي خلقكم من طين**﴾ وقال في بيان القرون: ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن**﴾ وأشير فيها إلى ذكر المرسلين وتعداد كثير منهم وكانت الأمور الثلاثة وتفصيلها فبسط فيها قصة خلق آدم أبلغ بسط بحيث لم تبسط في سورة كما بسطت فيها وذلك تفصيل إجمال قوله: ﴿ خلقكم من طين ﴾ ثم فصلت قصص المرسلين وأممهم وكيفية إهلاكهم تفصيلاً تاماً شافياً مستوعباً لم يقع نظيره في سورة غيرها وذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلهم فكانت هذه السورة شرحاً لتلك الآيات الثلاثة وأيضاً فذلك تفصيل قوله: ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض** ﴾ ولهذا صدر هذه السورة وفي قصة ثمود: ﴿**جعلكم خلفاء من بعد عاد**﴾ وأيضاً فقد قال في الأنعام: ﴿ **كتب على نفسه الرحمة** ﴾ وهو موجز وبسطه هنا بقوله: ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء**

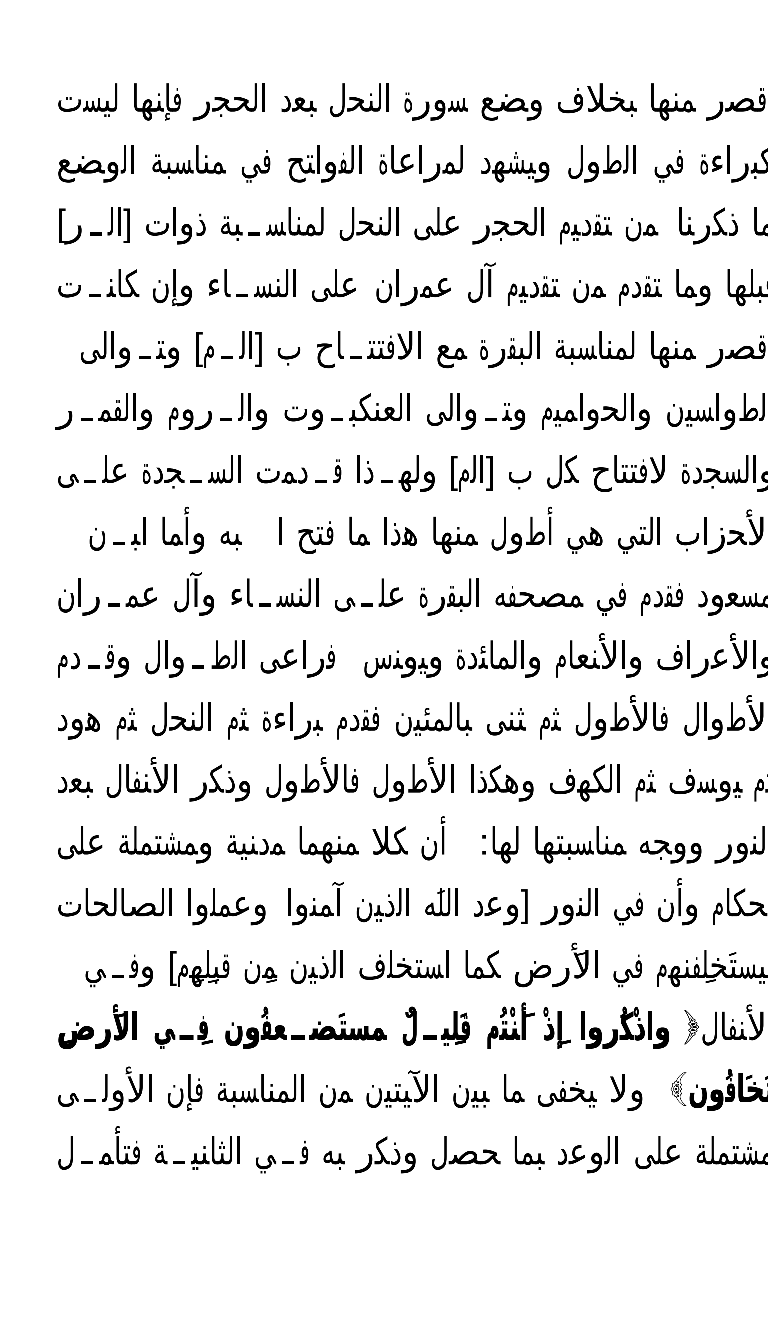


فَسأَكْتُبُها لِلَّذِين يتقُون ﴾ إلى آخره فبين من كتبها لهم وأمـا وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأنعام فهو: أنه قد تقـدم هناك: ﴿**وأَن هذَا صِراطِي مستَقِيما فَاتبِعوه** ﴾{ وقولـه: ﴿ **وهذَا كِتَاب أَنْزلْنَاه مبارك فَاتبِعوه** ﴾{ وقوله: ﴿**وهذَا كِتَـاب أَنْزلْنَاه مبارك فَاتبِعوه**﴾ فافتتح هذه السـورة أيضـاً باتبـاع الكتاب في قوله: ﴿**كِتَاب أُنْزِلَ إِلَيك**﴾ إلى ﴿**اتبِعوا مـا أُنْـزِلَ إِلَيكُم من ربكُم**﴾ وأيضاً لما تقدم في الأنعام: ﴿ **ثُم ينَبئُهم بِما كَانُوا يفْعلُون**﴾ ﴿ **ثُم إِلَى ربكُم مرجِعكُم فَينَبئُكُم بِما كُنْتُم فِيهِ تَخْتَلِفُون**﴾ قال في مفتتح هذه السورة: ﴿ **فَلَنَسأَلَن الَّذِين أُرسِلَ إِلَيهِم ولَنَسأَلَن الْمرسلِين**﴾ ﴿ **فَلَنَقُصن علَيهِم بِعِلْمٍ** ﴾ وذلـك شرح التنبئة المذكورة وأيضاً فلما قال في الأنعام: ﴿ **من جاء بِالْحسنَةِ فَلَه عشْر أَمثَالِها**﴾ وذلك لا يظهر إلا في الميـزان افتتح هذه السورة بذكر الوزن فقال: ﴿**والْوزن يومئِذٍ الْحق**﴾ ثم ذكر من ثقلت موازينه وهو من زادت سيئاته على حسناته ثم ذكر بعد ذلك أصحاب الأعراف وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم اعلم أن وضع هذه السورة وبراءة هنا ليس بتوقيف من الرسول صلى ا عليه وسلم والصحابة كما هو الـراجح في سائر السور بل اجتهاد من عثمان رضي ا عنـه وقـد


كان يظهر في بادئ الرأي: أن المناسـب إيـلاء الأعـراف بيونس وهود لاشتراك كل في اشتمالها على قصص الأنبياء وأنها مكية النزول خصوصاً أن الحديث ورد في فضل السبع الطوال وعدوا السابعة يونس وكانت تسمى بذلك كما أخرجه البيهقي في الدلائل ففي فصلها من الأعراف بسورتين همـا الأنفال بالنسبة إلى الأعراف وبراءة وقد استشكل ابن عبـاس حبر الأمة قديماً ذلك فأخرج أحمـد وأبـو داود والترمـذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلـى براءة وهني من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سـطر بسم ا الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال فقـال عثمان: كان رسول ا صلى ا عليه وسـلم ينـزل عليـه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض مـن كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننـت أنها منها فقبض رسول ا صلى ا عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سـطر

بسم ا   فانظر إلى ابن عباس رضي ا   عنه كيف استشـكل
علي عثمان رضي ا   عنه أمرين: وضع الأنفال وبراءة في
أثناء السبع الطوال مفصولاً بهما بـين السادسـة والسـابعة
ووضع الأنفال وهي قصيرة مع السور الطويلة وانظر كيـف
أجاب عثمان رضي ا   عنه أولاً بأنه لم يكن عنده في ذلـك
توقيف فإنه استند إلى اجتهاد وأنه قرن بين الأنفال وبـراءة
لكونها شبيهة بقصتها في اشتمال كل منهما على القتال ونبـذ
العهود وهذه وجه بين المناسبة جلى فرضى ا   عن الصحابة
ما أدق أفهامهم! ما أدق أفهامهم! وأجزل آراءهم! وأعظـم
أحلامهم! وأقول: يتم بيان مقصد عثمان رضي ا   عنه فـي
ذلك بأمور فتح ا   بها: الأول: أنه جعل الأنفال قبل براءة مع
قصرها لكونها مشتملة على البسملة فقدمها لتكون لفظة منها
وتكون براءة بخلوها منها كتتمتها وبقيتها ولهذا قال جماعة
من السلف: إن الأنفال وبراءة سـورة واحـدة لا سـورتان
الثاني: أنه وضع براءة هنا لمناسبة الطول فإنـه لـيس فـي
القرآن بعد الأعراف أنسب ليونس طولاً منها وذلك كاف في
المناسبة الثالث: أنه خلل بالسورتين الأنفال وبـراءة أثنـاء
السبع الطوال المعلوم ترتيبها في العصر الأول للإشارة إلـى


أن ذلك أمر صادر لا عن توقيف وإلى أن رسول ا صـلى ا عليه وسلم قبض قبل أن يبين محلهما فوضعا كالموضـع المستعار بين السبع الطوال بخلاف ما لو وضعتا بعد السـبع الطوال فإنه كان يوهم أن ذلك محلهما بتوقيف وترتيب السبع الطوال يرشد إلى دفع هذه الوهم فانظر إلى هذه الدقيقة التي فتح ا بها ولا يغوص عليها إلا غواص الرابـع: أنـه لـو أخرهما وقدم يونس وأتى بعد براءة بهود كما في مصحف أبي بن كعب لمراعاة مناسبة السبع الطوال وإيلاء بعضها بعضاً لفات مع ما أشرنا إليه أمر آخر آكد في المناسبة فإن الأولى بسورة يونس أن تولى بالسور الخمـس التـي بعـدها لمـا اشتركت فيه من الاشتمال على القصص ومن الافتتاح بالذكر وبذكر الكتاب ومن كونها مكيات ومن تناسب ما عدا الحجر في المقدار وبالتسمية باسم نبي والرعد إسم ملك وهو مناسب لأسماء الأنبياء فهذه ستة وجوه في مناسبة الاتصـال بـين يونس وما بعدها وهي أكثر من ذلك الوجه السابق في تقـديم يونس بعد الأعراف ولبعض هذه الأمور قدمت سورة الحجر على النحل مع كونها أقصر منها ولو اخرت براءة عن هـذه السور الست المناسبة جداً بطولها لجاءت بعد عشـر سـور

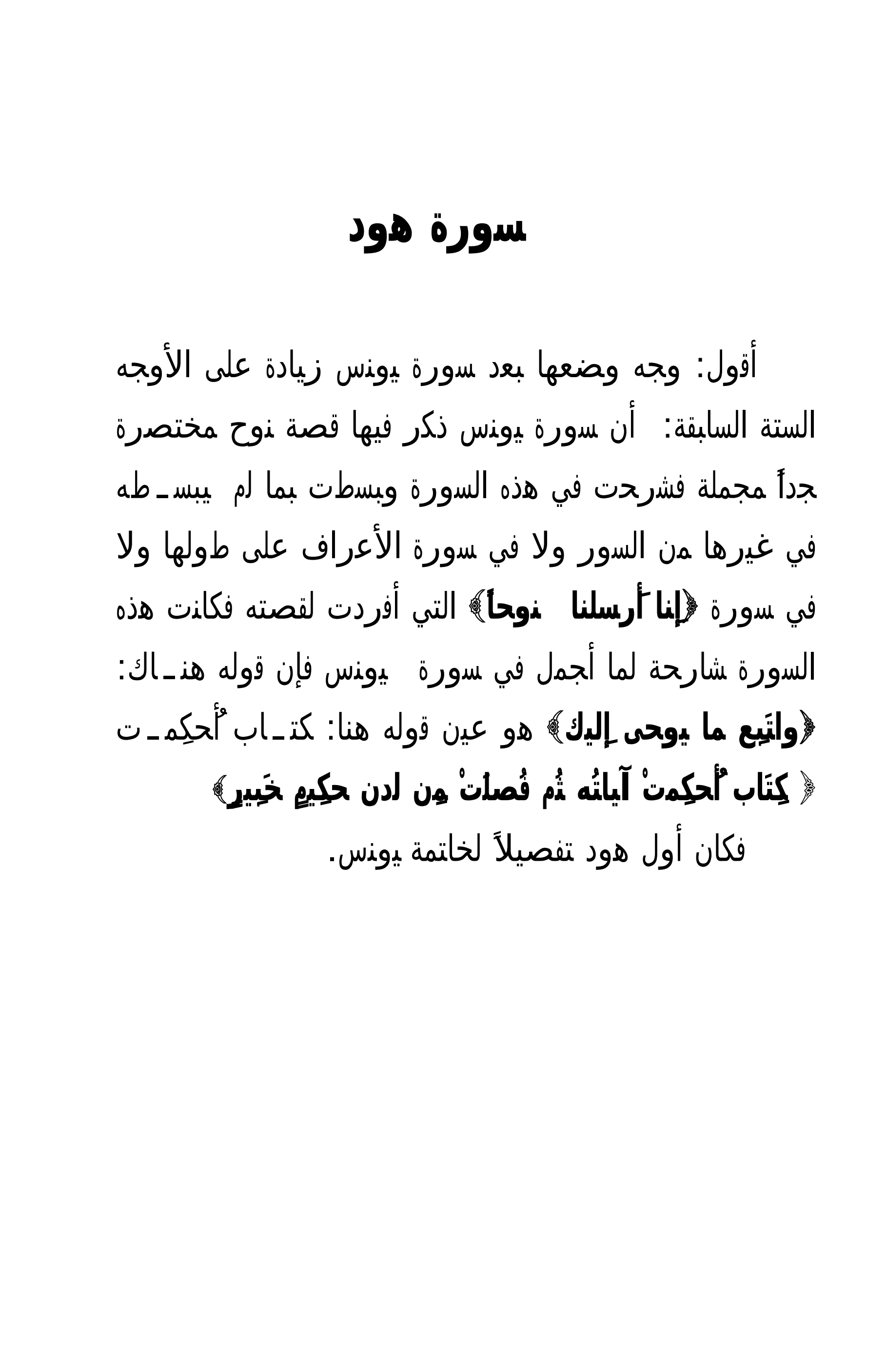


أقصر منها بخلاف وضع سورة النحل بعد الحجر فإنها ليست كبراءة في الطول ويشهد لمراعاة الفواتح في مناسبة الوضع ما ذكرنا من تقديم الحجر على النحل لمناسـبة ذوات [الـر] قبلها وما تقدم من تقديم آل عمران على النسـاء وإن كانـت أقصر منها لمناسبة البقرة مع الافتتـاح ب [الـم] وتـوالى الطواسين والحواميم وتـوالى العنكبـوت والـروم والقمـر والسجدة لافتتاح كل ب [الم] ولهـذا قـدمت السـجدة علـى الأحزاب التي هي أطول منها هذا ما فتح ا به وأما ابـن مسعود فقدم في مصحفه البقرة علـى النسـاء وآل عمـران والأعراف والأنعام والمائدة ويونس فراعى الطـوال وقـدم الأطوال فالأطول ثم ثنى بالمئين فقدم براءة ثم النحل ثم هود ثم يوسف ثم الكهف وهكذا الأطول فالأطول وذكر الأنفال بعد النور ووجه مناسبتها لها: أن كلا منهما مدنية ومشتملة على أحكام وأن في النور [وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستَخلِفنهم في الأرض كما استخلف الذين مِن قبلِهم] وفـي الأنفال﴿ **واذْكُروا إِذْ أَنْتُم قَلِيـلٌ مستَضـعفُون فِـي الْأَرض تَخَافُون**﴾ ولا يخفى ما بين الآيتين من المناسبة فإن الأولـى مشتملة على الوعد بما حصل وذكر به فـي الثانيـة فتأمـل

سورة براءة أقول: عقد عرف وجه مناسبتها ونزيد هنـا أن صدرها تفصيل لإجمال قوله في الأنفال: ﴿**وإما تَخَافَن مِـن قَومٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إليهم على سواءٍ**﴾ وآيـات الأمـر بالقتـال متصلة بقوله هنا: ﴿**وأَعِدوا لهم ما استَطَعتُم من قُوةٍ** ﴾ ولذا قال هنا في قصة المنافقين: ﴿ **ولو أرادوا الْخُروج لأعدوا له عدةً** ﴾ثم بين السورتين تناسب من وجه آخـر وهـو: أنـه سبحانه في الأنفال تولى قسمة الغنائم وجعل خمسها خمسـة أخماس وفي براءة تولى قسمة الصـدقات وجعلهـا لثمانيـة أصناف.

سورة يونس

أقول: قد عرف وجه مناسبتها فيما تقـدم فـي الأنفـال ونزيد هنا: أن مطلعها شبية بمطلع سورة الأعـراف وأنـه سبحانه قال فيها: ﴿**أن أَنْذِرِ الناس وبشرِ الذِين آمنُوا**﴾ فقدم الإنذار وعممه وأخر البشارة وخصصها وقال تعـالى فـي مطلع الأعراف: ﴿**لِتُنذِر بِهِ وذِكْـرى لِلْمـؤْمِنِين**﴾ فخـص الذكرى وأخرها وقدم الإنذار وحذف مفعوله ليعم وقال هنا: {إن ربكُم اللّه الذي خلَقَ السمواتِ والأرضِ في ستةِ أيام ثُـم استوى على العرش} وقال في الأوائل أي أوائـل الأعـراف مثل ذلك وقال هنا: {يدبر الأمر} وقال هنـاك: ﴿**مسـخراتٍ بِأمرهِ ألاَ له الْخَلْقُ والأمر**﴾ وأيضاً فقد ذكرت قصة فرعون وقومه في الأعراف فاختصر ذكر عذابهم وبسطه في هـذه فهي شارحة لما أجمل في سورة الأعراف منه.



سورة هود

أقول: وجه وضعها بعد سورة يونس زيادة على الأوجه الستة السابقة: أن سورة يونس ذكر فيها قصة نوح مختصرة جداً مجملة فشرحت في هذه السورة وبسطت بما لم يبسطه في غيرها من السور ولا في سورة الأعراف على طولها ولا في سورة ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾ التي أفردت لقصته فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل في سورة يونس فإن قوله هناك: ﴿واتَّبِع ما يوحى إليك﴾ هو عين قوله هنا: كتاب أُحكِمت ﴿كِتَاب أُحكِمتْ آياتُه ثُم فُصلَتْ مِن لدن حكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

فكان أول هود تفصيلاً لخاتمة يونس.

سورة يوسف

أقول: وجه وضعها بعد سورة هود زيادة على الأوجـه الستة السابقة: أن قوله في مطلعها: ﴿**نحن نَقُص عليك أَحسن القِصص**﴾ مناسبة لقوله في مقطع تلك: **{وكلا نقُص عليك من أَنباءِ الرسل ما نُثبت به فؤادك}** وأيضاً فلما وقع في سـورة هود }فبشرناها بإِسحاق ومِن وراءِ إِسحاق يعقـوب وقولـه: رحمة اللّهِ وبركاتهِ عليكُم أَهل البيت{ ذكر هنا حال يعقـوب مع أولاده وحال ولده الذي هو من أهل البيت مع إخوته فكان كالشرح لإجمال ذلك وكذلك قال هنا: }ويتم نعمتـه عليـك وعلى آل يعقوب كما أَتمها على أَبويك مِـن قبـل إِبـراهيم وإسحاق{ فكان ذلك كالمقترن بقوله في هـود: **رحمـتُ ا ـ وبركاتُه عليْكُم أَهلَ الْبيتِ**﴾ وقد روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب النزول: أن يونس نزلت ثم هود ثم يوسف وهذا وجه آخر من وجوه المناسبة في ترتيب هـذه السـور الثلاث لترتيبها في النزول هكذا.

سورة الرعد

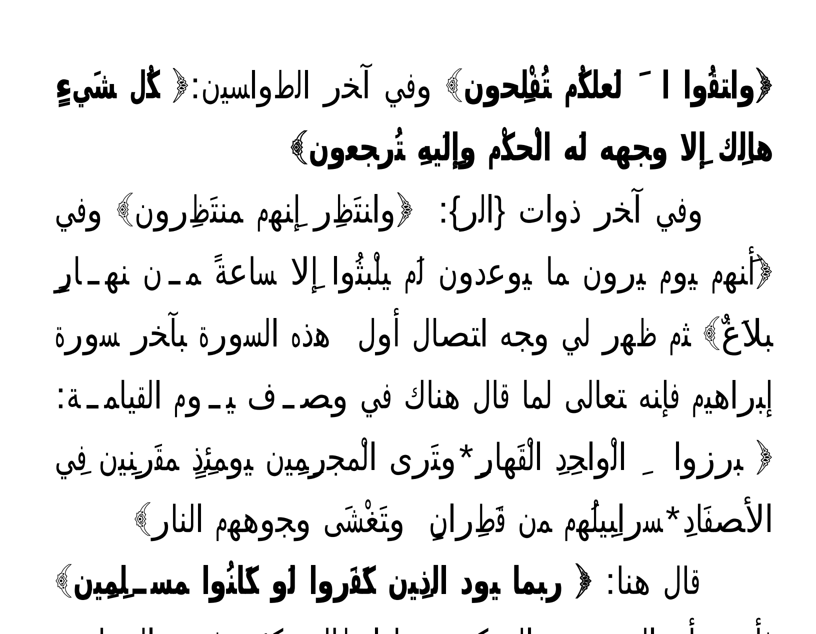
أقول: وجه وضعها بعد سورة يوسف زيادة على ما تقدم بعد ما فكرت فيه طائفة من الزمان: أنه سبحانه قال في آخر تلك: {**وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون**} فذكر الآيات السمائية والأرضية مجملة ثم فصل في مطلع هذه السورة فقوله **{الله الذي رفع السمواتِ بغير عمد ترونها ثُم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري إلى أَجلٍ مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكُم بلقاءِ ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعلَ فيها رواسي وَأنهاراً ومِن كُلِ الثمرات جعلَ فيها زوجين اثنَين يغشى الليلُ والنَهار إِن في ذَلِك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجناتٍ مِن أَعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماءٍ واحد ونُفَضِل بعضها على بعض في الأكل إِن في ذلِك لآياتٍ لقومٍ يعقلون}** تفصيل الآيات الأرضية هذا مع اختتام سورة يوسف بوصف

الكتاب ووصفه بالحق وافتتاح هذه بمثل ذلك وهو من تشـابه الأطراف.

سورة إبراهيم

أقول: وجه وضعها بعد سورة الرعد زيادة على ما تقدم بعد إفكاري فيه برهة: أن قوله في مطلعها: ﴿ **كِتَاب أَنْزَلْنَاه إِلَيْك** ﴾ مناسب لقوله: في مقطع تلك: ﴿ **ومن عِنْده عِلْم الْكِتَابِ**﴾ على أن المراد ب {من} هو: ا تعالى جل جلاله وأيضاً ففي الرعد: ﴿ **ولَقَدِ استُهزِئَ بِرسلٍ من قَبلِك فَأَملَيتُ لِلذِين كَفَروا ثُم أَخَذْتُهم** ﴾ وذلك مجمل في أربعة مواضع: الرسل والمستهزئين وصفة الاستهزاء والأخذ وقد فصلت الأربعة في قوله: ﴿ألم يأتِكم نبأ الذين مِن قبلِكم قوم نوح وعاد وثمود﴾ أقول: تقدمت الأوجه في اقترانها بالسورة السابقة وإنما أُخرت عنها اقصرها بالنسبة إليها وهذا القسم من سور القرآن للمئين فناسب تقديم الأطول مع مناسبة ما ختمت به لبراعة الختام وهو قوله: ﴿ **واعبد ربك حتى يأْتِيك الْيقِين**﴾

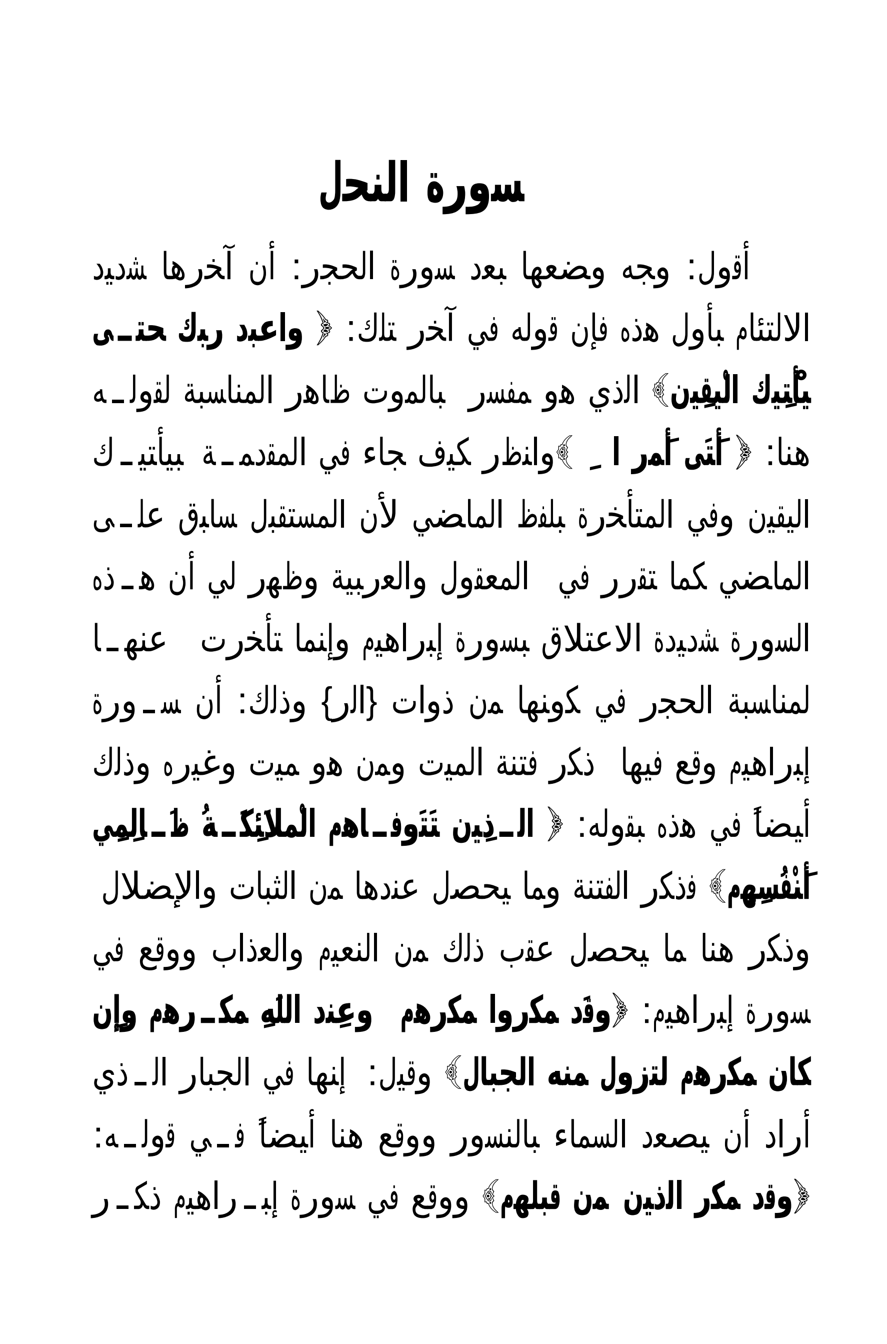
فإنه مفسر بالموت وذلك مقطع في غاية البراعة وقد وقع ذلك في أواخر السور المقترنة ففي آخر آل عمران:



﴿واتقوا ا ً لعلكم تُفْلِحون﴾ وفي آخر الطواسين:**﴿ كُل شَيءٍ هالِك إِلا وجهه له الْحكْم وإِليهِ تُرجعون﴾**

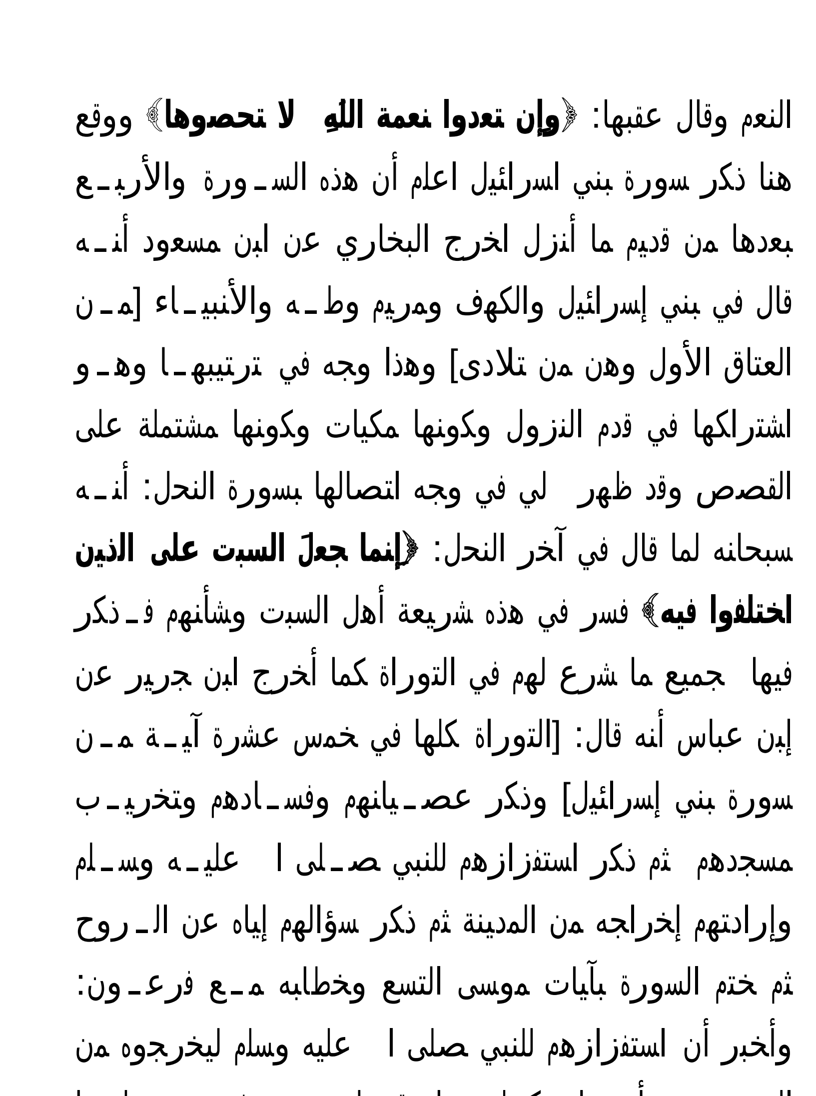
وفي آخر ذوات {الر}: ﴿وانتَظِر إِنهم منتَظِرون﴾ وفي ﴿أنهم يوم يرون ما يوعدون لَم يلْبثُوا إِلا ساعةً مـن نهـارٍ بلاَغٌ﴾ ثم ظهر لي وجه اتصال أول هذه السورة بآخر سورة إبراهيم فإنه تعالى لما قال هناك في وصـف يـوم القيامـة: ﴿ برزوا ِ الْواحِدِ الْقَهارِ*وتَرى الْمجرِمِين يومئِذٍ مقَرنِين فِي الأَصفَادِ*سرابِيلُهم من قَطِرانٍ وتَغْشَى وجوههم النار﴾

قال هنا: **﴿ ربما يود الَّذِين كَفَروا لَو كَانُوا مسـلِمِين﴾** فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم فـي النـار ورأوا عصاة المؤمنين الموحدين قد أخرجوا منها تمنوا أن لو كانوا في الدنيا مسلمين وذلك وجه حسن في الربط مع اختتام آخر تلك بوصف الكتاب وافتتاح هذه به وذلك مـن تشـابه الأطراف.



سورة النحل

أقول: وجه وضعها بعد سورة الحجر: أن آخرها شديد الالتئام بأول هذه فإن قوله في آخر تلك: ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ الذي هو مفسر بالموت ظاهر المناسبة لقوله هنا: ﴿ **أَتَى أَمر ا** ﴾وانظر كيف جاء في المقدمة بيأتيك اليقين وفي المتأخرة بلفظ الماضي لأن المستقبل سابق على الماضي كما تقرر في المعقول والعربية وظهر لي أن هذه السورة شديدة الاعتلاق بسورة إبراهيم وإنما تأخرت عنها لمناسبة الحجر في كونها من ذوات {الر} وذلك: أن سورة إبراهيم وقع فيها ذكر فتنة الميت ومن هو ميت وغيره وذلك أيضاً في هذه بقوله: ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم**﴾ فذكر الفتنة وما يحصل عندها من الثبات والإضلال وذكر هنا ما يحصل عقب ذلك من النعيم والعذاب ووقع في سورة إبراهيم: ﴿**وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال**﴾ وقيل: إنها في الجبار الذي أراد أن يصعد السماء بالنسور ووقع هنا أيضاً في قوله: ﴿**وقد مكر الذين من قبلهم**﴾ ووقع في سورة إبراهيم ذكر



النعم وقال عقبها: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ ووقع هنا ذكر سورة بني اسرائيل اعلم أن هذه السورة والأربع بعدها من قديم ما أنزل اخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء [من العتاق الأول وهن من تلادى] وهذا وجه في ترتيبها وهو اشتراكها في قدم النزول وكونها مكيات وكونها مشتملة على القصص وقد ظهر لي في وجه اتصالها بسورة النحل: أنه سبحانه لما قال في آخر النحل: ﴿**إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**﴾ فسر في هذه شريعة أهل السبت وشأنهم فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة كما أخرج ابن جرير عن إبن عباس أنه قال: [التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل] وذكر عصيانهم وفسادهم وتخريب مسجدهم ثم ذكر استفزازهم للنبي صلى ا عليه وسلم وإرادتهم إخراجه من المدينة ثم ذكر سؤالهم إياه عن الروح ثم ختم السورة بآيات موسى التسع وخطابه مع فرعون: وأخبر أن استفزازهم للنبي صلى ا عليه وسلم ليخرجوه من المدينة هو وأصحابه كنظير ما وقع لهم مع فرعون لما استفزهم ووقع ذلك أيضاً ولما كانت هذه السورة مصدرة

بقصة تخريب المسجد الأقصـى اسـرى بالمصـطفى إليـه تشريفاً

سورة الكهف

قال بعضهم: مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء: افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد وهما مقترنان في القرآن وسـائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد نحو: ﴿**فسبح بحمد ربك**﴾ وسبحان الله وبحمده قلت: مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضـاً وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف ثم ظهر لي وجـه آخر أحسن في الاتصال وذلك: أن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة أشياء: عن الروح وعن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وقد ذكر جواب السؤال الأول في آخر سورة بني إسـرائيل فناسـب اتصالها بالسورة التي اشتملت على جواب السؤالين الآخرين فإن قلت: هلا جمعت الثلاثة في سورة واحدة قلت: لما لم يقع الجواب عن الأول بالبيان ناسب فصله في سورة ثم ظهر لي وجه آخر: وهو أنه لما قال فيها: ﴿**وما أوتيتم من العلـم إلا قليلا**﴾ والخطاب لليهود واستظهر على ذلك بقصة موسى في بني إسرائيل مع الخضر التي كان سببها ذكر العلم والأعلـم وما دلت عليه من إحاطة معلومات الله عز وجـل التـي لا

تحصى فكانت هذه السورة كإقامة الدليل لما ذكر من الحكـم وقد ورد في الحديث أنه لما نزل: ﴿ **ما أُوتِيتُم من الْعِلْـمِ إلا قَلِيلاً**﴾ قال اليهود: قد أُوتينا التوراة فيها علم كل شيء فنزل: ﴿**قُل لو كان الْبحر مِدادا لكَلِماتِ ربي لنَفِد الْبحر قَبلَ أَن تَنفَد كَلِماتُ ربي ولَو جِئْنَا بِمِثْلِهِ مددا**﴾ فهـذا وجـه آخـر فـي المناسبة وتكون السورة من هذه الجهة جوابـاً عـن شـبهة الخصوم فيما قدر بتلك وأيضاً فلما قال هناك: ﴿**فَـإِذَا جـاء وعد الآخِرةِ جِئْنَا بِكُم لَفِيفًا**﴾ شرح ذلك هنا وبسطه بقولـه: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء﴾ إلى ﴿**نُفِـخَ فِـي الصـور فَجمعنَاهم جمعا * وعرضنَا جهنم يومئِذٍ للْكَافِرِين عرضا**﴾

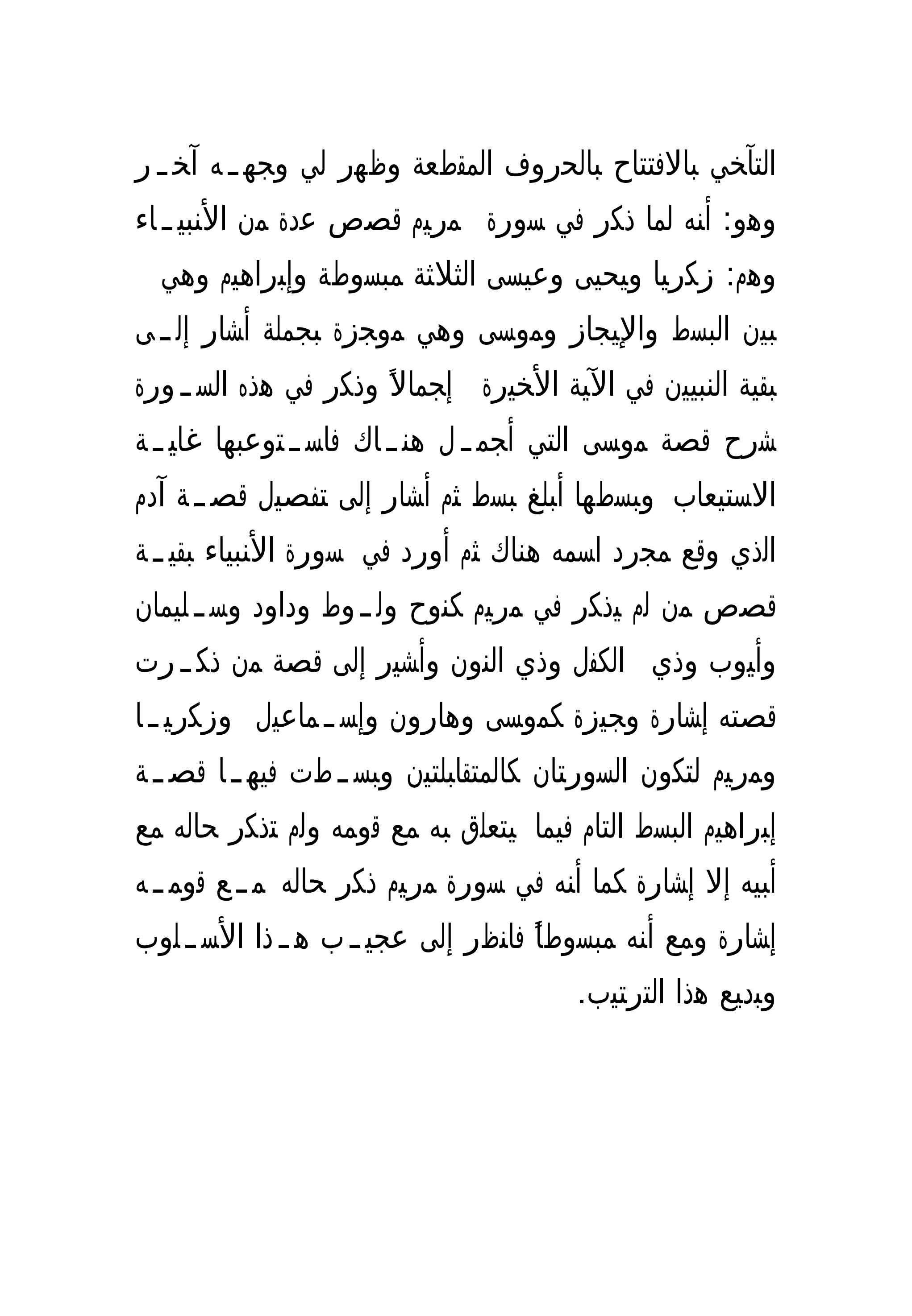
فهذه وجوه عديدة في الاتصال.

سورة مريم

أقول: ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها: أن سـورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصـحاب الكهـف وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شـرب وقصـة موسى مع الخضر وما فيها من الخارقات وقصة ذي القرنين وهذه السورة فيها أعجوبتان قصة ولادة يحيى بن وأيضاً فقد قيل: إن أصحاب الكهف يبعثون قبل قيام الساعة ويحجون مع عيسى ابن مريم حين ينزل ففي ذكر سورة مريم بعد سـورة أصحاب الكهف مع ذلك - إن ثبـت - مـا لا يخفـى مـن المناسبة وقد قيل أيضاً: إنهم من قوم عيسـى وإن قصـتهم كانت في الفترة فناسب توالى قصتهم وقصة نبيهم.

سورة طه

أقول: روينا عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيـب النزول: ان طه نزلت بعد سورة مـريم بعـد ذكـر سـورة أصحاب الكهف وذلك وحده كاف في مناسبة الوضـع مـع



التآخي بالافتتاح بالحروف المقطعة وظهر لي وجهـه آخـر وهو: أنه لما ذكر في سورة مريم قصص عدة من الأنبيـاء وهم: زكريا ويحيى وعيسى الثلاثة مبسوطة وإبراهيم وهي بين البسط والإيجاز وموسى وهي موجزة بجملة أشار إلـى بقية النبيين في الآية الأخيرة إجمالاً وذكر في هذه السـورة شرح قصة موسى التي أجمـل هنـاك فاسـتوعبها غايـة الاستيعاب وبسطها أبلغ بسط ثم أشار إلى تفصيل قصـة آدم الذي وقع مجرد اسمه هناك ثم أورد في سورة الأنبياء بقيـة قصص من لم يذكر في مريم كنوح ولـوط وداود وسـليمان وأيوب وذي الكفل وذي النون وأشير إلى قصة من ذكـرت قصته إشارة وجيزة كموسى وهارون وإسـماعيل وزكريـا ومريم لتكون السورتان كالمتقابلتين وبسـطت فيهـا قصـة إبراهيم البسط التام فيما يتعلق به مع قومه ولم تذكر حاله مع أبيه إلا إشارة كما أنه في سورة مريم ذكر حاله مـع قومـه إشارة ومع أنه مبسوطاً فانظر إلى عجيـب هـذا الأسـلوب وبديع هذا الترتيب.

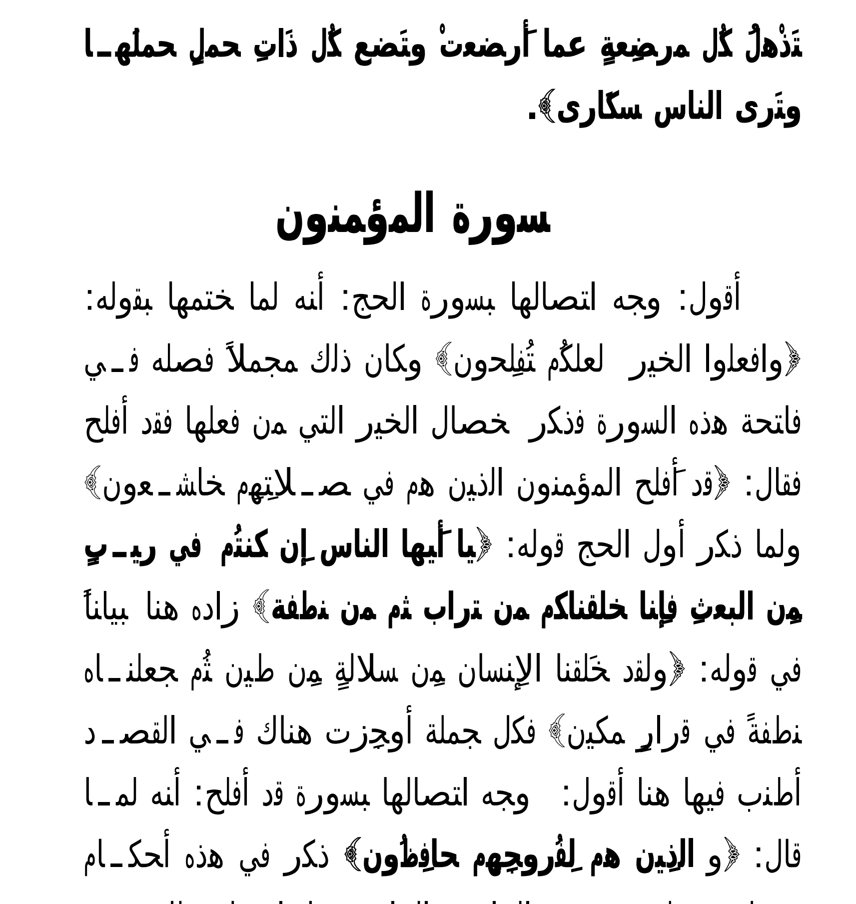
سورة الأنبياء

قدمت ما فيها مستوفي وظهر لي في اتصالها بآخر طه: أنه سبحانه لما قال: ﴿ **قُلْ كُلٌ متَربِص فَتَربصوا**﴾ وقال قبله: {ولولا كلمةٍ سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلا مسمى} قال في مطلع هذه: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ إشارة إلى قرب الأجـل ودنو الأمل المنتظر وفيه أيضاً مناسبة لقولـه هنـاك: }ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم{ فإن قرب الساعة يقتضى الإعراض عن هذه الحياة الدنيا لدنوها مـن الـزوال والفناء ولهذا ورد في الحديث أنهـا نزلـت قيـل لـبعض الصحابة: هلا سألت النبي صلى ا عليه وسلم عنها فقال

سورة الحج

أقول: وجه اتصالها بسورة الأنبياء: أنه ختمها بوصـف الساعة في قوله: ﴿ **واقْتَرب الْوعد الْحق فَإِذَا هِي شَاخِصـةٌ أَبصار الَذِين كَفَروا** ﴾ وافتتح هذه بذلك فقال:﴿ **يا أَيها الناس اتقُوا ربكُم ِإن زلْزلَةَ الساعةِ شَيء عظِيم * يـوم تَرونَهـا**

تَذْهلُ كُل مرضِعةٍ عما أرضعتْ وتَضع كُل ذَاتِ حملٍ حملَها وتَرى الناس سكَارى﴾.



سورة المؤمنون

أقول: وجه اتصالها بسورة الحج: أنه لما ختمها بقوله: ﴿وافعلوا الخير لعلكُم تُفلِحون﴾ وكان ذلك مجملاً فصله في فاتحة هذه السورة فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح فقال: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتِهم خاشعون﴾ ولما ذكر أول الحج قوله: ﴿**يا أيها الناس إن كنتُم في ريبٍ مِن البعثِ فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة**﴾ زاده هنا بياناً في قوله: ﴿ولقد خَلقنا الإنسان مِن سلالةٍ مِن طين ثُم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين﴾ فكل جملة أوجِزت هناك في القصد أطنب فيها هنا أقول: وجه اتصالها بسورة قد أفلح: أنه لما قال: ﴿و**الذِين هم لِفُروجِهم حافِظُون**﴾ ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك والأمر بغض البصر وأمر فيها بالنكاح حفظاً للفروج وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف وحفظ فرجه ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا

ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط ولا تناسق أبدع من هـذا النسق سورة الفرقان ظهر لي بفضل ا بعدما فكـرت فـي هذه: أن نسبة هذه السورة لسورة النور كنسبة سورة الأنعـام إلى المائدة من حيث أن النور قد ختمت.

سورة النور

بقوله: {ـِ ما في السموات والأرض} كما ختمت المائدة بقوله {ـِ ملك السموات والأرض وما فيهن} وكانـت جملـة النور أخصر من المائدة ثم فصلت هذه الجملة فـي سـورة الفرقان فافتتحت بقوله ﴿ **الذي له ملك السماوات** ﴾ إلى قوله ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾ كما افتتحت الأنعـام بمثـل ذلك وكان قوله عقبه ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ إلـى آخـره نظير قوله هناك ﴿ **ثم الذين كفروا بربهم** ﴾ ثم ذكر في خلال هذه السورة جملة من المخلوقات كمثل الظل والليل والنـوم والنهار والرياح والماء والأنعام والأناسي ومـرج البحـرين والإنسان والنسب والصهر وخلق السموات والأرض في ستة أيام والاستواء على العرش وبروج السماء والسراج والقمـر

إلى غير ذلك مما هو تفصيل لجملة: { ـِ ما فـي الســمواتِ والأرض} كما فصل آخر المائدة في الأنعام بمثل ذلك وكان البسط في الأنعام أكثر لطولها ثم أشار في هذه السورة إلـى القرون المكذبة وإهلاكم كما أشار في الأنعام إلى ذلـك ثـم أفصح عن هذه الإشارة في السورة التي تليها وهي الشـعراء بالبسط التام والتفصيل البالغ كما أوضح تلك الإشارة التي في الأنعام وفصلها في سورة الأعراف التي تليها فكانت هاتـان السورتان الفرقان والشعراء في المثانى نظير تينك السورتين الأنعام والأعراف في الطوال واتصالهما بآخر النور نظيـر اتصال تلك بآخر المائدة المشتملة على فصل القضاء ثم ظهر لي لطيفة أخرى وهي أنه إذا وقعت سورة مكية بعد سـورة مدنية افتتح أولها بالثناء علـى ا كالأنعـام بعـد المائـدة والإسراء بعد النحل وهذه بعد النور وسـبأ بعـد الأحـزاب والحديد بعد الواقعة وتبارك بعد التحريم لما في ذلـك مـن الإشارة إلى نوع استقلال وإلى الإنتقال من نوع إلـى نـوع أقول وجه اتصالها بسورة الفرقان أنه تعالى لما أشـار فيهـا إلى قصص مجملة بقوله ﴿**ولَقَد آتَينَا موسى الْكِتَاب وجعلْنَـا معه أَخَاه هارون وزيرا * فَقُلْنَا اذْهبا إِلَى الْقَومِ الَّذِين كَذَّبوا**

بِآياتِنَا فَدمرنَاهم تَدمِيرا* وقَوم نُـوحٍ لمـا كَـذبوا الرسـلَ أَغْرقْنَاهم وجعلْنَاهم لِلناس آيةً وأَعتَـدنَا لِلظـالِمِين عـذَابا أَلِيما*وعادا وثَمود وأَصحاب الرس وقُرونًا بين ذَلِك كَثِيرا﴾

شرح هذه القصص وفصلها أبلغ تفصيل في الشـعراء التي تليها ولذلك رتبت على ترتيـب ذكرهـا فـي الآيـات المذكورة فبدئ بقصة موسى ولو رتبت على الواقع لأخـرت كما في الأعراف فانظر إلى هذا السر اللطيف الذي مـن ا بإلهامه ولما كان في الآيات المذكورة بقوله ﴿ **وقُرونًـا بـين ذَلِك كَثِيراً**﴾ زاد في الشعراء تفصيلاً لذلك قصة قوم إبـراهيم وقوم لوط وقوم شعيب ولما ختم الفرقان بقوله: **وإِذَا خَاطَبهم الْجاهِلُون قَالُوا سلاَما**﴾ وقوله: ﴿ **وإِذَا مروا بِـاللغْوِ مـروا كِراما**﴾ ختم هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك واستثنى منهم من سلك سبيل أولئك وبين ما يمدح من الشعر ويدخل في قوله {سلاماً} وما يذم منه ويدخل في اللغو.

سورة النمل

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: أنها كالتتمة لها في ذكـر بقية القرون فزاد سبحانه فيها ذكر سليمان وداود وبسط فيها قصة لوط أبسط مما هي في الشعراء وقد روينا عـن إبـن عباس وجابر بن زيد في ترتيب السور: أن الشعراء أنزلـت ثم طه ثم القصص ولذلك كان ترتيبها في المصـحف هكـذا وأيضاً فقد وقع فيها: {وإذ قال موسى لأهلِهِ امكثوا إني آنستُ ناراً} إلى آخره وذلك تفصيل قوله في الشعراء: ﴿فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين﴾

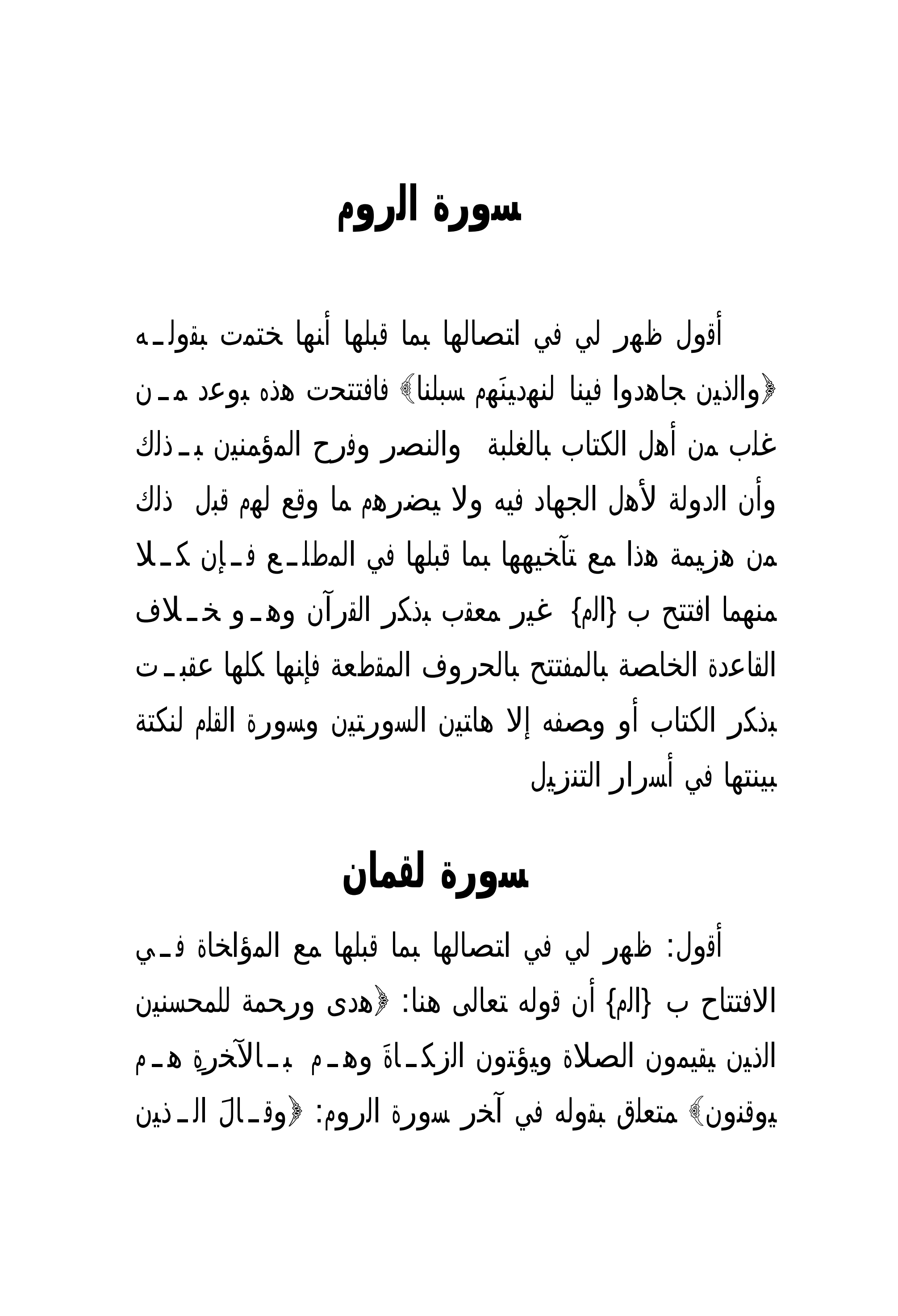
سورة القصص

أقول: ظهر لي بعد الفكرة: أنه سبحانه لما حكـى فـي الشعراء قول فرعون لموسى ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلتَ فعلتَك التي فعلت﴾ إلى قول موسـى ﴿ففررتُ منكُم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني مـن المرسلين{ وقال في طس النمل قول موسى لأهلـه: ﴿إنـي آنست ناراً{ إلى آخره الذي هو في الوقوع بعد الفرار ولمـا

كان على سبيل الإشارة والإجمال بسط في هذه السـورة مـا أوجزه في السورتين وفصل ما أجمله فيهمـا علـى حسـب ترتيبهما فبدأ بشرح تربية فرعون له مصدراً بسبب ذلك: من علو رعون وذبح أبناء بني إسرائيل الموجب لإلقاء موسـى عند ولادته في اليم خوفاً عليه من الذبح وبسط القصـة فـي تربيته وما وقع فيها إلى كبره إلى السبب الذي من أجله قتل القبطي وهي الفعلة التي فعل إلى الهم بذلك عليه والموجـب لفراره إلى مدين إلى ما وقع له مع شعيب وتزوجه بابنته إلى أن سار بأهله وآنس من جانب الطور نـاراً فقـال لأهلـه: ﴿**مكُثُوا إِني آنَستُ نَارا**﴾ إلى ما وقع له فيها مـن المناجـاة لربه وبعثه إياه رسولاً وما استتبع ذلك إلى آخر القصة فكانت السورة شارحة لما أجمل في السورتين معاً علـى الترتيـب وبذلك عرف وجه الحكمة في تقـديم {طـس} علـى هـذه وتأخيرها عن الشعراء فللهِ الحمد على ما ألهم.

سورة العنكبوت

أقول ظهر لي في وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لما أخبر في أول السورة السابقة عن فرعون أنه: {علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم} افتتح هذه السورة بذكر المؤمنين الذين فتنهم الكفار وعذبوهم على الإيمان بعذاب دون ما عذب به قوم فرعون بني إسرائيل تسلية لهم بما وقع لمن قبلهم وحثا لهم على الصبر ولذلك وأيضاً فلما كان في خاتمة القصص .الإشارة إلى هجرة النبي صلى ا عليه وسلم وفي خاتمة هذه الإشارة إلى هجرة المؤمنين بقوله: **يا عِبادِي الذِين آمنُوا إِن أَرضِي واسِعةٌ** ﴾ ناسب تتاليهما

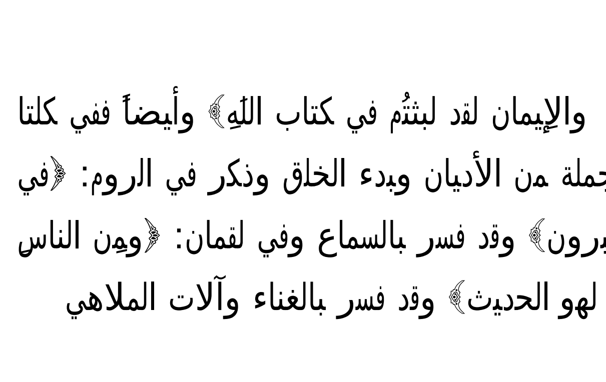


سورة الروم

أقول ظهر لي في اتصالها بما قبلها أنها ختمت بقوله ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينَهم سبلنا﴾ فافتتحت هذه بوعد من غلب من أهل الكتاب بالغلبة والنصر وفرح المؤمنين بذلك وأن الدولة لأهل الجهاد فيه ولا يضرهم ما وقع لهم قبل ذلك من هزيمة هذا مع تآخيهما بما قبلها في المطلع فإن كلا منهما افتتح ب {الم} غير معقب بذكر القرآن وهو خلاف القاعدة الخاصة بالمفتتح بالحروف المقطعة فإنها كلها عقبت بذكر الكتاب أو وصفه إلا هاتين السورتين وسورة القلم لنكتة بينتها في أسرار التنزيل

سورة لقمان

أقول: ظهر لي في اتصالها بما قبلها مع المؤاخاة في الافتتاح ب {الم} أن قوله تعالى هنا: ﴿هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاةَ وهم بالآخرةِ هم يوقنون﴾ متعلق بقوله في آخر سورة الروم: ﴿وقالَ الذين



أُوتوا العلم والإيمان لقد لبثتُم في كتاب اللّهِ﴾ وأيضاً ففي كلتا السورتين جملة من الأديان وبدء الخلق وذكر في الروم: ﴿في روضة يحبرون﴾ وقد فسر بالسماع وفي لقمان: ﴿ومِن الناسِ من يشتري لهو الحديث﴾ وقد فسر بالغناء وآلات الملاهي

سورة السجدة

أقول وجه اتصالها بما قبلها أنها شرحت مفاتح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة لقمان فقوله هنا: ﴿ثُم يعرج إِليهِ في يومٍ كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ شرح لقوله هناك: ﴿إِن الله عِنده عِلم الساعة﴾ ولذلك عقب هنا بقوله: ﴿عالِمِ الغيب والشِهادة﴾ وقوله: ﴿أولَم يروا أَنّا نسوق الماء إِلى الأرض الجرز﴾ شرح لقوله: ﴿وينزلُ الغيث﴾ وقوله: ﴿الذي أَحسن كل شيء خلقه﴾ شرح لقوله: ﴿ويعلَم ما في الأرحام﴾ وقوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إِلى الأرض﴾ و ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها﴾ شرح لقوله: ﴿وما تَدري نفس ماذا تكسِب غداً﴾ وقوله: ﴿أَئذا ضللنا في الأرض﴾ إلى قوله: {قُل يتوفاكُم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم مرجعكُم} شرح لقوله: ﴿وما تَدري نفس بأَي أَرض تموت﴾ فللهِ الحمد على ما ألهم أقول: وجه اتصالها بما قبلها: تشابه مطلع هذه ومقطع تلك فإن تلك ختمت بأمر النبي صلى ا عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم ومطلع

هذه الأمر بتقوى ا وعـدم طاعـة الكـافرين والمنـافقين
فصارت كالتتمة لما ختمت به تلك حتى كأنهما سورة واحدة

سورة سبأ

أقول: ظهر لي وجه اتصالها بما قبلها وهو أن تلك لمـا ختمت بقوله: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافِقات والمشـركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ افتتحـت هذه بأن له ما في السموات وما في الأرض وهذا الوصـف لائق بذلك الحكم فإن الملك العام والقدرة التامة يقتضيان ذلك وخاتمة سورة الأحزاب: ﴿وكان الله غَفوراً رحيماً﴾ وفاصلة الآية الثانية من مطلع سبأ: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾

سورة فاطر

أقول: مناسبة وضعها بعد سبأ تآخيهمـا فـي الافتتـاح بالحمد مع تناسبهما في المقدار وقال بعضهم: افتتاح سـورة فاطر بالحمد مناسب لختام ما قبلها من قوله: {وحيـل بيـنَهم وبين ما يشتهون كما فعلَ بأشياعهم من قبلهم} فهـو نظيـر اتصال أول الأنعام بفصل القضاء المختتم به المائدة

سورة يس

أقول ظهر لي وجه اتصالها بما قبلها: أنه لما ذكر فـي سورة فاطر قوله: {وجاءكُم النَذير} وقوله: }وَأَقسِـموا باللَـهِ جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن َأهدى من ِإحدى الُأمـم فلما جاءهم نذير{ والمراد به محمد صلى ا عليه وسلم وقد أعرضوا عنه وكذبوه فافتتح هذه السورة بالإقسام على صحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذر قوماً ما أنذر آبـاؤهم وهذا وجه بين وفي فاطر: }وسخر الشمس والقمر{ وفي يس {والشَمس تَجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كـالعرجون القـديم} وذلـك أبسـط وأوضح وفي فاطر: }وترى الفُلك فيه مواخر{ وفـي يـس {وآية لهم َأنا حلمنا ذُريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم مِن مثله ما يركبون وإن نشأ نُغرقُهم فلا صـريخ لهـم ولاهـم ينقذون} فزاد القصة بسطاً

سورة الصافات

أقول هذه السورة بعد [يس] كـالأعراف بعـد الأنعـام وكالشعراء بعد الفرقان في تفصيل أحوال

سورة ص

أقول: هذه السورة بعد الصافات كطس بعد الشعراء وكطه والأنبياء بعد مريم وكيوسف بعد هود في كونها متممة لها بذكر من بقى من الأنبياء ممن لم يذكروا فيها فإنه سبحانه ذكر في الصافات نوحاً وإبراهيم والذبيح وموسى وهارون ولوطاً وإلياس ويونس وذكر هنا داود وسليمان وأيوب وأشار إلى بقية من ذكر فهي بعدها أشبه شيء بالأنبياء وطس بعد مريم والشعراء

سورة الزمر

لا يخفى وجه اتصال أولها بآخر [ص] حيث قال في [ص] }إن هو إلا ذكر للعالمين{ ثم قال هنا }تنزيل الكتاب من اللَّهِ{ فكأنه قيل: هذا الذكر تنزيل وهذا تلاؤم شديد بحيث أنه لو أسقطت البسملة لا لتأمت الآيتان كالآية الواحدة وقد ذكر ا تعالى في آخر [ص] قصة خلق آدم وذكر في صدر هذه قصة خلق زوجه وخلق الناس كلهم منه وذكر خلقهم في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق ثم ذكر أنهم ميتون ثم ذكر وفاة النوم والموت ثم ذكر القيامة والحساب والجزاء والنار

والجنة وقال: {وقَضى بينَهم} فذكر أحوال الخلق من المبـدأ إلى المعاد متصلاً بخلق آدم المذكور في السورة التي قبلها

سورة غافر

أقول: وجه إيلاء الحواميم السبع سورة الزمر: تـآخى المطالع في الافتتاح بتنزيل الكتاب وفي مصحف أبـي بـن كعب: أول الزمر {حم} وذلك مناسبة جليلة ثم إن الحـواميم ترتبت لاشتراكها في الافتتاح ب {حم} وبذكر الكتاب بعد حم وأنها مكية بل ورد في الحديث أنها نزلت جملة وفيها شـبه من ترتيب ذوات {الر} الست فانظر ثانية الحـواميم وهـي فصلت كيف شابهت ثانية ذوات {الر} هود في تغيير الأسلوب في وصف الكتاب وأن في هود: }كتاب أُحكِمت آياتـه ثُـم فُصلت{ وفي فصلت: }كتاب فصلت آياته{ وفي سائر ذوات {الر} }تلك آيات الكتاب{ وفي سـائر الحـواميم: {تنزيـلُ الكتاب} أو {والكتاب} وروينا عن جابر بن زيد وابن عبـاس في ترتيب نزول السور: أن الحواميم نزلت عقب الزمر وأنها نزلت متتاليات كترتيبها في المصحف: المؤمن ثم السجدة ثم الشورى ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقـاف ولـم

يتخللها نزول غيرها وتلك مناسبة جلية واضحة في وضـعها هكذا ثم ظهر لي لطيفة أخرى وهي: أنه في كل ربـع مـن أرباع القرآن توالت سبع سور مفتتحة بـالحروف المقطعـة فهذه السبع مصدرة ب {حم} وسبع في الربع الذي قبله ذوات {الر} الست متوالية و {المص} الأعراف فإنها متصلة بيونس على ما تقدمت الإشارة إليه وافتتح أول القرآن بسورتين من ذلك وأول النصف الثاني بسـورتين وقـال الكرمـاني فـي العجائب: ترتيب الحواميم السبع لما بينها من التشاكل الـذي خصت به وهو: أن كل سورة منهـا اسـفتحت بالكتـاب أو وصفه مع تفاوت المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام انتهى قلت: وانظر إلى مناسبة ترتيبها فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر ومطلع فصلت التي هـي ثانيـة الحواميم مناسب لمطلع هود التي هـي ثانيـة ذوات {الـر} ومطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان وكذا مطلـع الجاثيـة لمطلع الأحقاف سورة القتال لا يخفى وجه ارتباط أولها بقوله في آخر الأحقاف: }فهل يهلك إلا القوم الفاسقون{ واتصـاله وتلاحمه بحيث أنه لو أسقطت البسملة منـه لكـان متصـلاً اتصالاً واحداً لا تنافر فيه كالآية الواحدة آخذاً بعضه بعنـق

بعض سورة الفتح لا يخفى وجه حسن وضعها هنا لأن الفتح بمعنى النصر مرتب على القتال وقد ورد في الحديث: أنها مبينة لما يفعل به وبالمؤمنين بعد إبهامه في قوله تعالى في الأحقاف: }وما أدري ما يفعل بي ولا بكم{ فكانت متصلة بسورة الأحقاف من هذه الجملة

سورة الحجرات

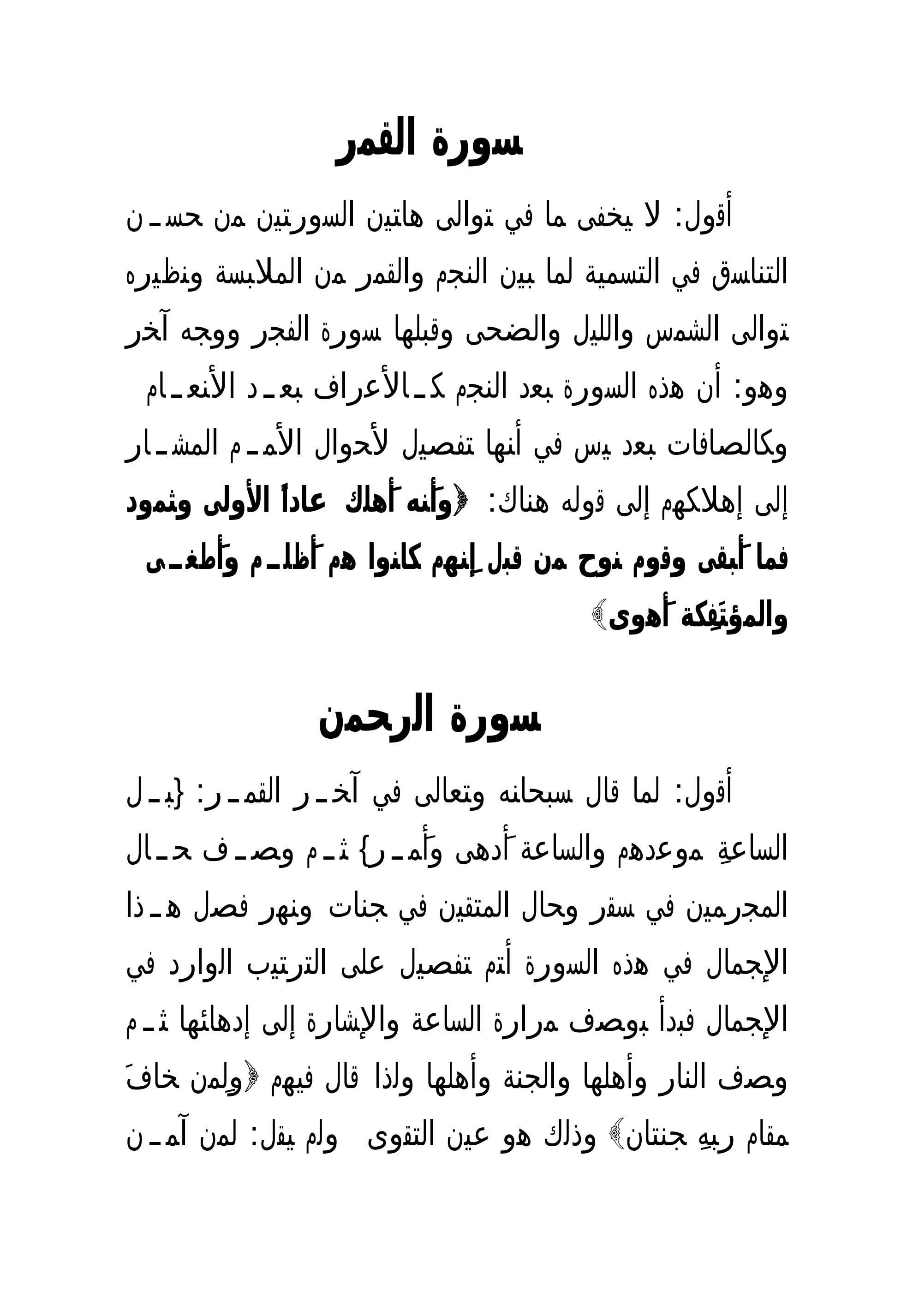
لا يخفى تآخي هاتين السورتين الفتح والحجرات مع ما قبلهما لكونهما مدنيتين ومشتملتين على أحكام فتلك فيها قتال الكفار وهذه فيها قتال البغاة وتلك ختمت بالذين آمنوا وهذه افتتحت بالذين آمنوا وتلك تضمنت تشريفاً له صلى ا عليه وسلم خصوصاً مطلعها وهذه أيضاً في مطلعها أنواع من التشريف له صلى ا عليه وسلم أقول: لما ختمت {ق} بذكر البعث واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار وغير ذلك من أحوال القيامة افتتح هذه السورة بالإقسام على أن ما توعدون من ذلك لصادق وإن الدين - وهو الجزاء - لواقع ونظير ذلك: افتتاح المرسلات بذلك بعد ذكر الوعد والوعيد والجزاء في سورة الإنسان

سورة الطور

أقول: وجه وضعها بعد الذاريات: تشابههما في المطلع والمقطع فإن في مطلع كل منهما صفة حال المتقين بقوله: ﴿إن المتَّقين في جناتٍ﴾ وفي مقطع كل منهما صفة حال الكفار بقوله في تلك: ﴿فويلٌ للذين كفروا﴾ وفي هذه: {فالذين كفَروا}

سورة النجم

أقول: وجه وضعها بعد الطور: أنها شديدة المناسبة لها فإن الطور ختمت بقوله: {وإدبار النجوم} وافتتحت هذه بقوله: ﴿والنجمِ إذا هوى﴾ ووجه آخر: أن الطور ذكر فيها ذرية المؤمنين وأنهم تبع لآبائهم وهذه فيها ذكر ذرية اليهود في قوله: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ ولما قال هناك في المؤمنين: ﴿لحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ أي: ما نقصنا الآباء بما أعطينا البنين مع نفعهم بما عمل آباؤهم قال هنا في صفة الكفار أو بني الكفار: }وأن ليس للإنسان إلا ما سعى{ خلاف ما ذكر في المؤمنين الصغار وهذا وجه بين بديع في المناسبة من وادي التضاد

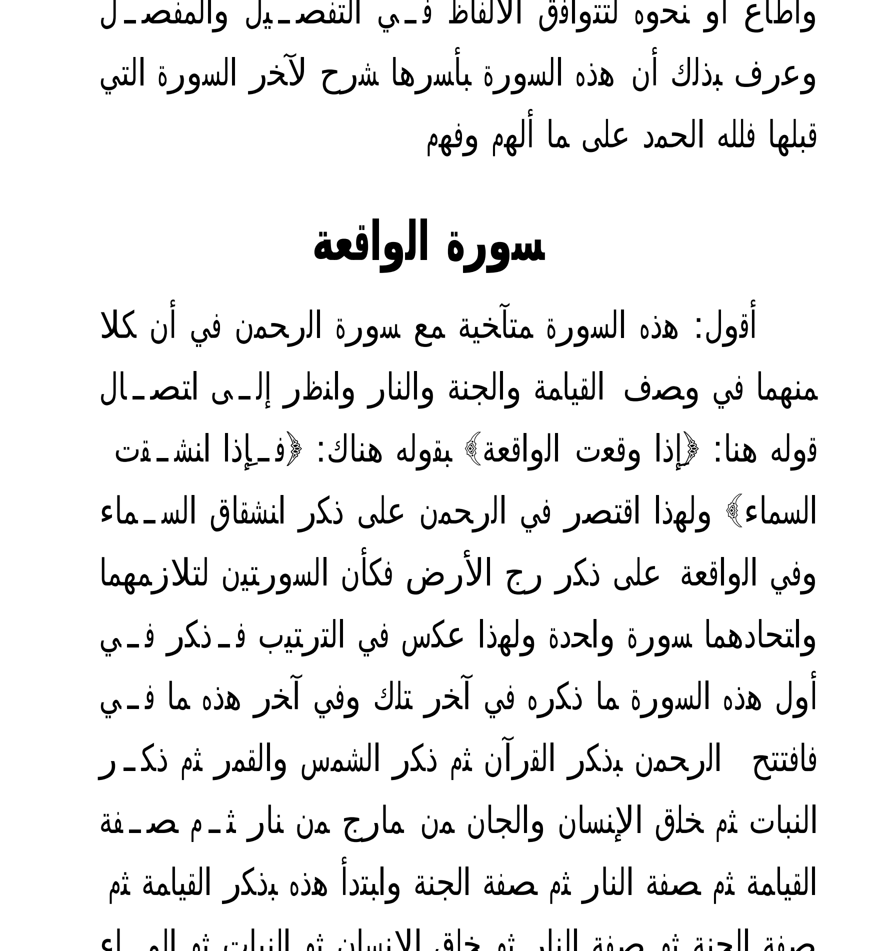


سورة القمر

أقول: لا يخفى ما في توالى هاتين السورتين من حسن التناسق في التسمية لما بين النجم والقمر من الملابسة ونظيره توالى الشمس والليل والضحى وقبلها سورة الفجر ووجه آخر وهو: أن هذه السورة بعد النجم كالأعراف بعد الأنعام وكالصافات بعد يس في أنها تفصيل لأحوال الأمم المشار إلى إهلاكهم إلى قوله هناك: ﴿**وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى**﴾

سورة الرحمن

أقول: لما قال سبحانه وتعالى في آخر القمر: {بل الساعةِ موعدهم والساعة أدهى وأمر} ثم وصف حال المجرمين في سقر وحال المتقين في جنات ونهر فصل هذا الإجمال في هذه السورة أتم تفصيل على الترتيب الوارد في الإجمال فبدأ بوصف مرارة الساعة والإشارة إلى إدهائها ثم وصف النار وأهلها والجنة وأهلها ولذا قال فيهم ﴿ولمن خافَ مقام ربهِ جنتان﴾ وذلك هو عين التقوى ولم يقل: لمن آمن



وأطاع أو نحوه لتتوافق الألفاظ في التفصيل والمفصل وعرف بذلك أن هذه السورة بأسرها شرح لآخر السورة التي قبلها فلله الحمد على ما ألهم وفهم

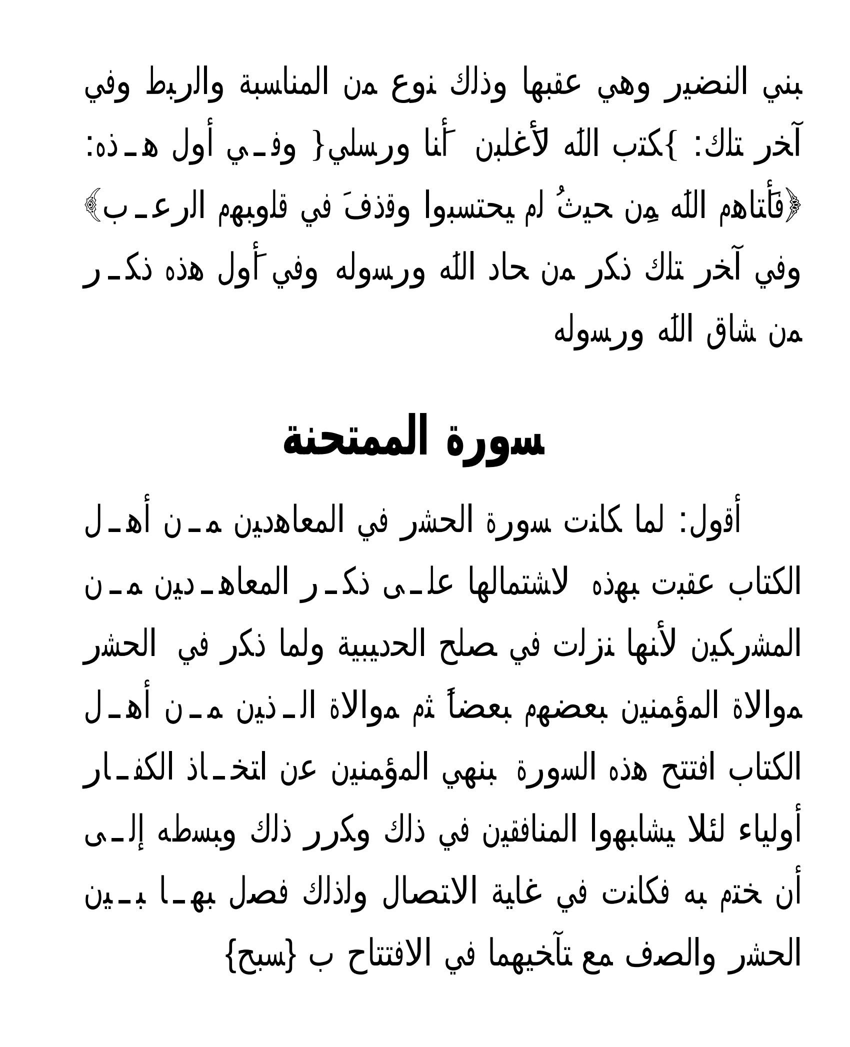
سورة الواقعة

أقول: هذه السورة متآخية مع سورة الرحمن في أن كلا منهما في وصف القيامة والجنة والنار وانظر إلى اتصال قوله هنا: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ بقوله هناك: ﴿فإذا انشقت السماء﴾ ولهذا اقتصر في الرحمن على ذكر انشقاق السماء وفي الواقعة على ذكر رج الأرض فكأن السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة ولهذا عكس في الترتيب فذكر في أول هذه السورة ما ذكره في آخر تلك وفي آخر هذه ما في فافتتح الرحمن بذكر القرآن ثم ذكر الشمس والقمر ثم ذكر النبات ثم خلق الإنسان والجان من مارج من نار ثم صفة القيامة ثم صفة النار ثم صفة الجنة وابتدأ هذه بذكر القيامة ثم صفة الجنة ثم صفة النار ثم خلق الإنسان ثم النبات ثم الماء ثم النار ثم النجوم ولم يذكرها في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر ثم ذكر القرآن فكانت هذه السورة كالمقابلة

لتلك وكرد العجز على الصدر سورة الحديد قـال بعضـهم: وجه اتصالها بالواقعة: أنها قدمت بذكر التسبيح وتلك ختمت بالأمر به قلت: وتمامه: أن أول الجديد واقـع موقـع العلـة للأمر به وكأنه قال ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لأنه {سبح للهِ ما في السموات والأرض}

سورة المجادلة

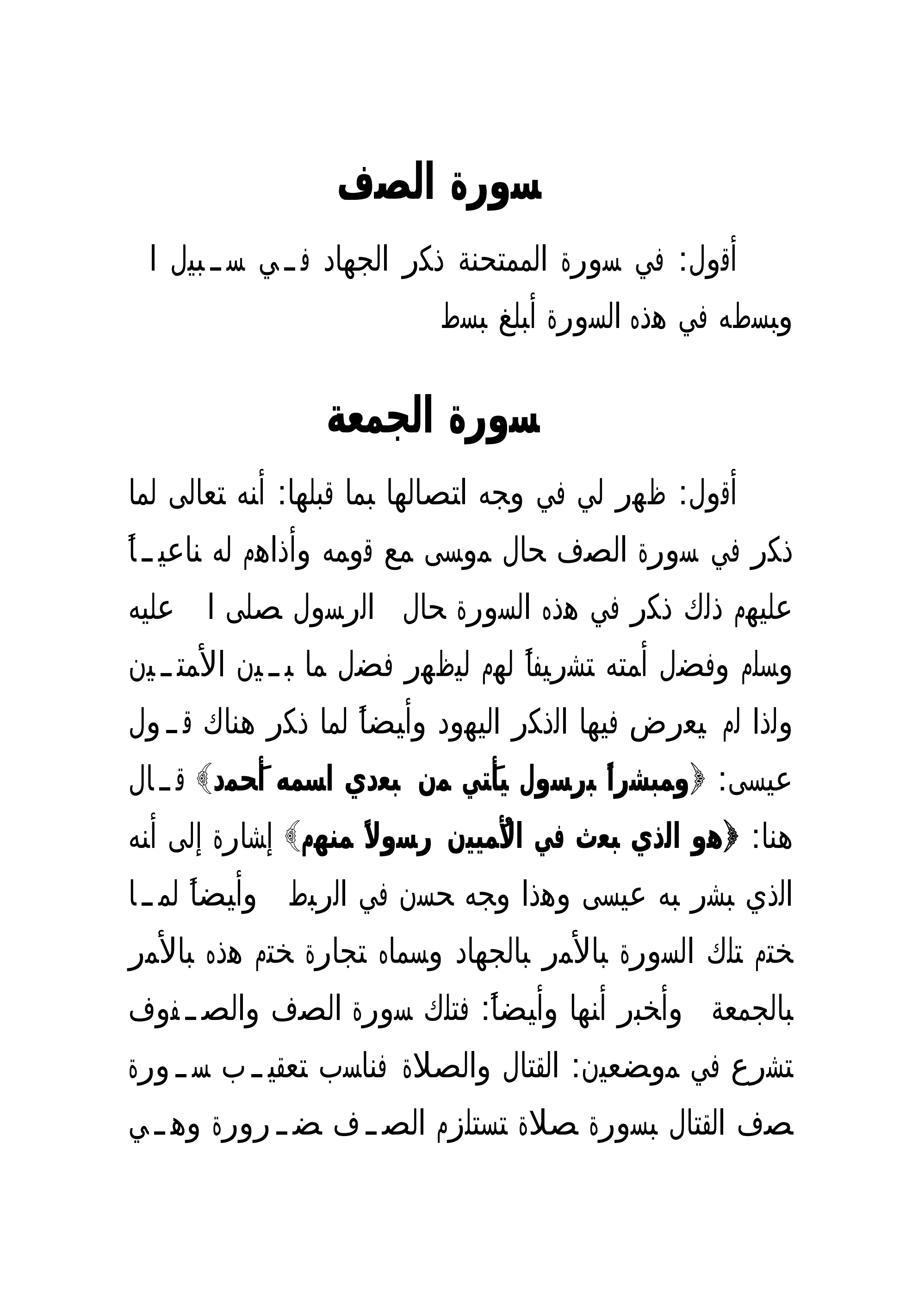
أقول: لما كان في مطلع الحديد ذكر صـفاته الجليلـة ومنها: الظاهر والباطن وقال: {يعلم ما يلج في الأرض ومـا يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكـم أينما كُنتُم} افتتح هذه بذكر أنه سمع قوله المجادلة التي شكت إليه صلى ا عليه وسلم ولهذا قالت عائشة رضي ا وذكر بعد ذلك قوله: {ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما فـي الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هـو رابعهـم} وهـو تفصيل لقوله: {وهو معكُم أينما كنتُم} وبذلك تعرف الحكمـة في الفصل بها بين الحديد والحشر مع تآخيهما في الافتتاح ب {سبح} سورة الحشر آخر سورة المجادلة نـزل فـيمن قتـل أقرباؤه من الصحابة يوم بدر وأول الحشر نازل في غـزوة



بني النضير وهي عقبها وذلك نوع من المناسبة والربط وفي آخر تلك: }كتب الله لأغلبن أنا ورسلي{ وفـي أول هـذه: ﴿فأتاهم الله مِن حيثُ لم يحتسبوا وقذفَ في قلوبهم الرعـب﴾ وفي آخر تلك ذكر من حاد الله ورسوله وفي أول هذه ذكـر من شاق الله ورسوله

سورة الممتحنة

أقول: لما كانت سورة الحشر في المعاهدين مـن أهـل الكتاب عقبت بهذه لاشتمالها علـى ذكـر المعاهـدين مـن المشركين لأنها نزلت في صلح الحديبية ولما ذكر في الحشر موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً ثم موالاة الـذين مـن أهـل الكتاب افتتح هذه السورة بنهي المؤمنين عن اتخـاذ الكفـار أولياء لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك وكرر ذلك وبسطه إلـى أن ختم به فكانت في غاية الاتصال ولذلك فصل بهـا بـين الحشر والصف مع تآخيهما في الافتتاح ب {سبح}

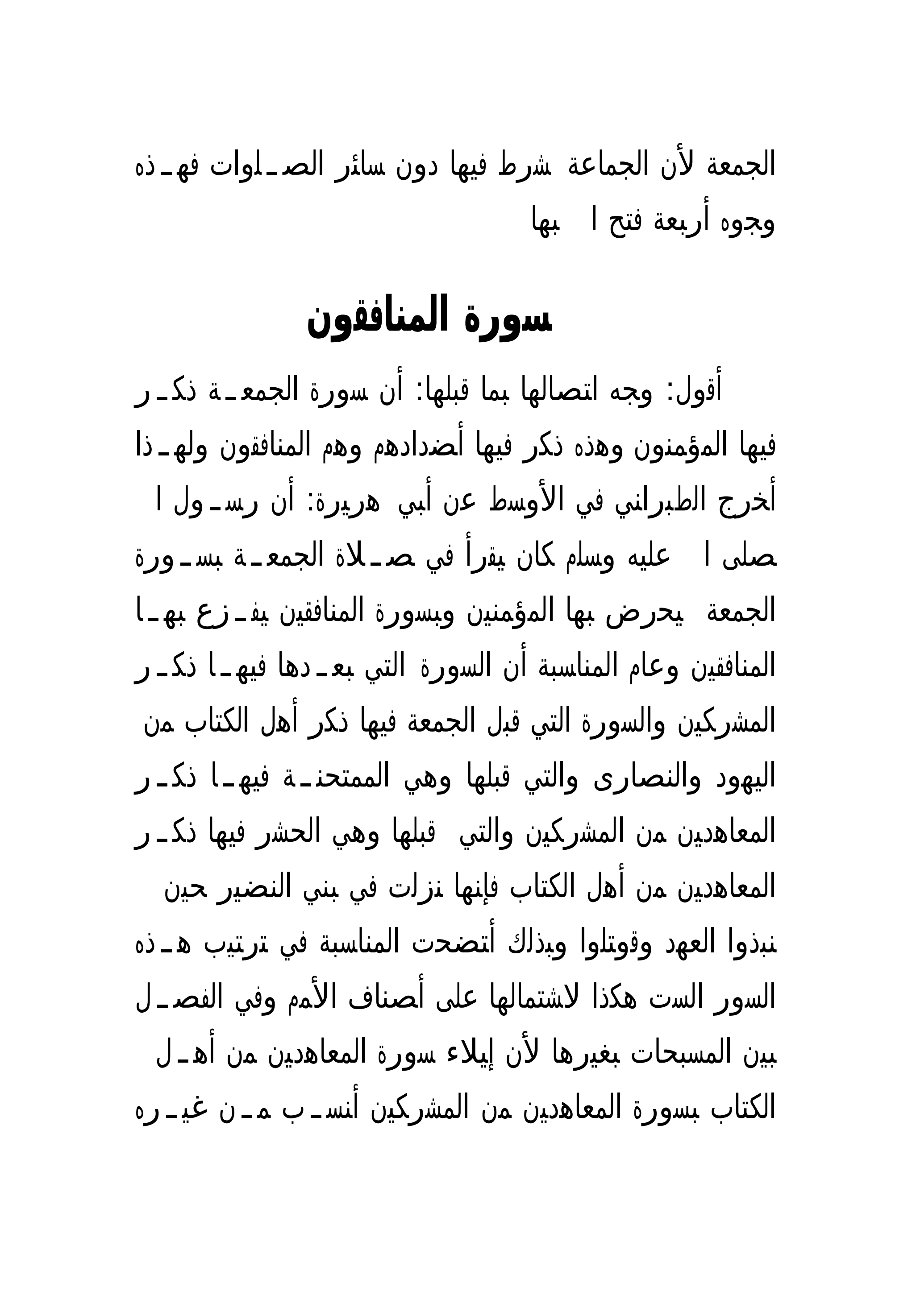


سورة الصف

أقول: في سورة الممتحنة ذكر الجهاد فـي سـبيل ا
وبسطه في هذه السورة أبلغ بسط

سورة الجمعة

أقول: ظهر لي في وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لما ذكر في سورة الصف حال موسى مع قومه وأذاهم له ناعيـاً عليهم ذلك ذكر في هذه السورة حال الرسول صلى ا عليه وسلم وفضل أمته تشريفاً لهم ليظهر فضل ما بـين الأمتـين ولذا لم يعرض فيها الذكر اليهود وأيضاً لما ذكر هناك قـول عيسى: ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ قـال هنا: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم**﴾ إشارة إلى أنه الذي بشر به عيسى وهذا وجه حسن في الربط وأيضاً لمـا ختم تلك السورة بالأمر بالجهاد وسماه تجارة ختم هذه بالأمر بالجمعة وأخبر أنها وأيضاً: فتلك سورة الصف والصـفوف تشرع في موضعين: القتال والصلاة فناسب تعقيـب سـورة صف القتال بسورة صلاة تستلزم الصـف ضـرورة وهـي



الجمعة لأن الجماعة شرط فيها دون سائر الصلوات فهذه وجوه أربعة فتح الله بها

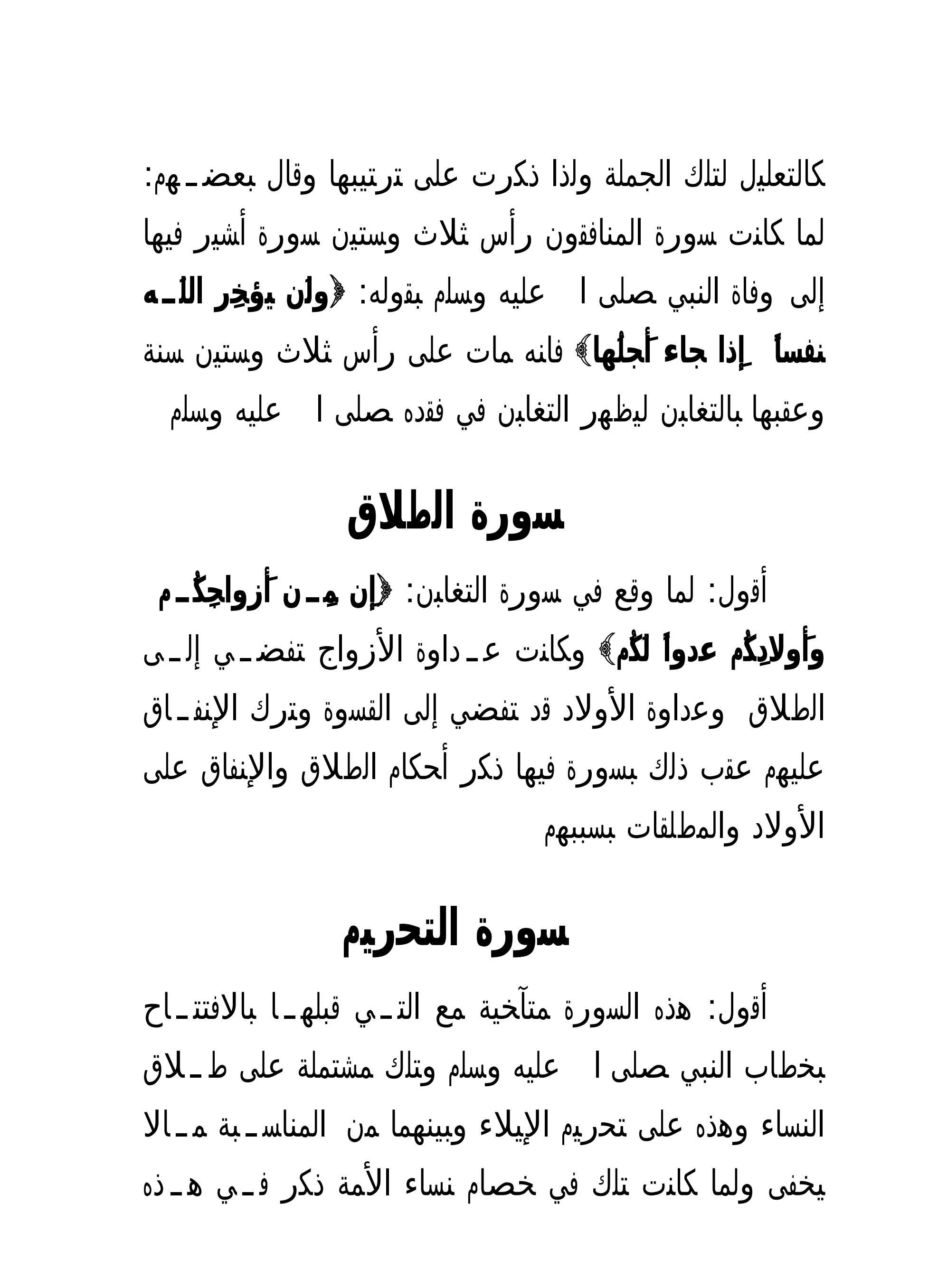
سورة المنافقون

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: أن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون وهذه ذكر فيها أضدادهم وهم المنافقون ولهذا أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة يحرض بها المؤمنين وبسورة المنافقين يفزع بها المنافقين وعام المناسبة أن السورة التي بعدها فيها ذكر المشركين والسورة التي قبل الجمعة فيها ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى والتي قبلها وهي الممتحنة فيها ذكر المعاهدين من المشركين والتي قبلها وهي الحشر فيها ذكر المعاهدين من أهل الكتاب فإنها نزلت في بني النضير حين نبذوا العهد وقوتلوا وبذلك أتضحت المناسبة في ترتيب هذه السور الست هكذا لاشتمالها على أصناف الأمم وفي الفصل بين المسبحات بغيرها لأن إيلاء سورة المعاهدين من أهل الكتاب بسورة المعاهدين من المشركين أنسب من غيره

وإيلاء سورة المؤمنين بسورة المنافقين أنسب من غيره فظهر بذلك أن الفصل بين المسبحات التي هي نظائر لحكمة دقيقة من لدن حكيم خبير فلله الحمد على ما فهم وألهم هـذا وقـد ورد عن ابن عباس في ترتيب النزول: أن سـورة التغـابن نزلت عقب الجمعة وتقدم نزول سورة المنافقون فما فصـل بينهما إلا لحكمة وا أعلم

سورة التغابن

أقول: لما وقع في آخر سورة المنافقون: ﴿**وأنفقوا ممـا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت**﴾ عقب بسورة التغابن لأنه قيل في معناه: إن الإنسان يأتي يوم القيامة وقد جمع مالاً ولم يعمل فيه خيراً فأخذه وارثه بسهولة من غير مشقة فـي جمعه فأنفقه في وجوه الخير فالجامع محاسب معذب مع تعبه في جمعه والوارث منعم مثاب مع سهولة وصوله إليه وذلك هو التغابن فارتباطه بآخر السـورة المـذكورة فـي غايـة الوضوح ولهذا قال هنا: ﴿**وأنفقوا خيـراً لأنفسـكم ومـن**﴾ وأيضاً ففي آخر تلك: ﴿**لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾ وفي هذه: ﴿**نما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ وهذه الجمـة



كالتعليل لتلك الجملة ولذا ذكرت على ترتيبها وقال بعضهم: لما كانت سورة المنافقون رأس ثلاث وستين سورة أشير فيها إلى وفاة النبي صلى ا عليه وسلم بقوله: ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾ فانه مات على رأس ثلاث وستين سنة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده صلى ا عليه وسلم

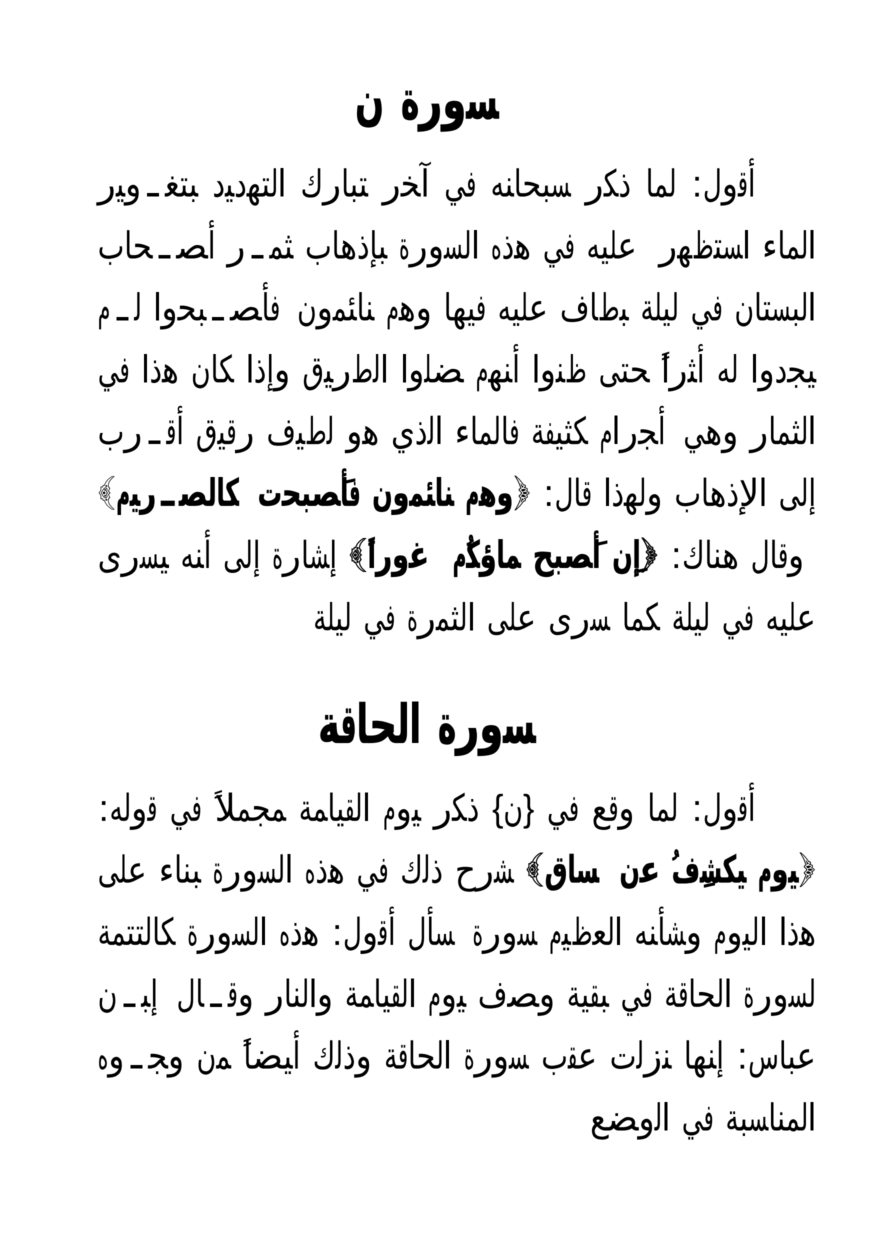
سورة الطلاق

أقول: لما وقع في سورة التغابن: ﴿**إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم**﴾ وكانت عداوة الأزواج تفضي إلى الطلاق وعداوة الأولاد قد تفضي إلى القسوة وترك الإنفاق عليهم عقب ذلك بسورة فيها ذكر أحكام الطلاق والإنفاق على الأولاد والمطلقات بسببهم

سورة التحريم

أقول: هذه السورة متآخية مع التي قبلها بالافتتاح بخطاب النبي صلى ا عليه وسلم وتلك مشتملة على طلاق النساء وهذه على تحريم الإيلاء وبينهما من المناسبة ما لا يخفى ولما كانت تلك في خصام نساء الأمة ذكر في هذه

خصومة نساء النبي صلى ا عليه وسلم إعظاماً لمنصبهن أن يذكرن مع سائر النسوة فأفردن بسورة خاصة ولهذا ختمت بذكر امرأتين في الجنة: آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران سورة تبارك أقول: ظهر لي بعد الجهد: أنه لما ذكر آخر التحريم امرأتي نوح ولوط الكافرتين وامرأة فرعون المؤمنة افتتحت هذه السورة بقوله: ﴿الذي خلَقَ الموتُ والحياة﴾ مراداً بهما الكفر والإيمان في أحد الأقوال للإشارة إلى أن الجميع بخلقه وقدرته ولهذا كفرت امرأتا نوح ولوط ولم ينفعهما اتصالهما بهذين النبيين الكريمين وآمنت امرأة فرعون ولم يضرها اتصالها بهذا الجبار العنيد لما سبق في كل من القضاء والقدر ووجه آخر وهو أن تبارك متصل بقوله في آخر الطلاق: {الله الذي خلَقَ سبع سمواتٍ ومِن الأرض مثلهن} فزاد ذلك بسطاً في هذه الآية: **﴿الذي خلَقَ سبع سماواتٍ طباقاً ما ترى في خلْق الرحمن مِن تفاوت فارجِع البصر هل ترى مِن فطور﴾** إلى قوله: **﴿ولقد زينّا السماء الدنيا بمصابيح﴾** وإنما فصلت بسورة التحريم لأنها كالتتمة لسورة الطلاق

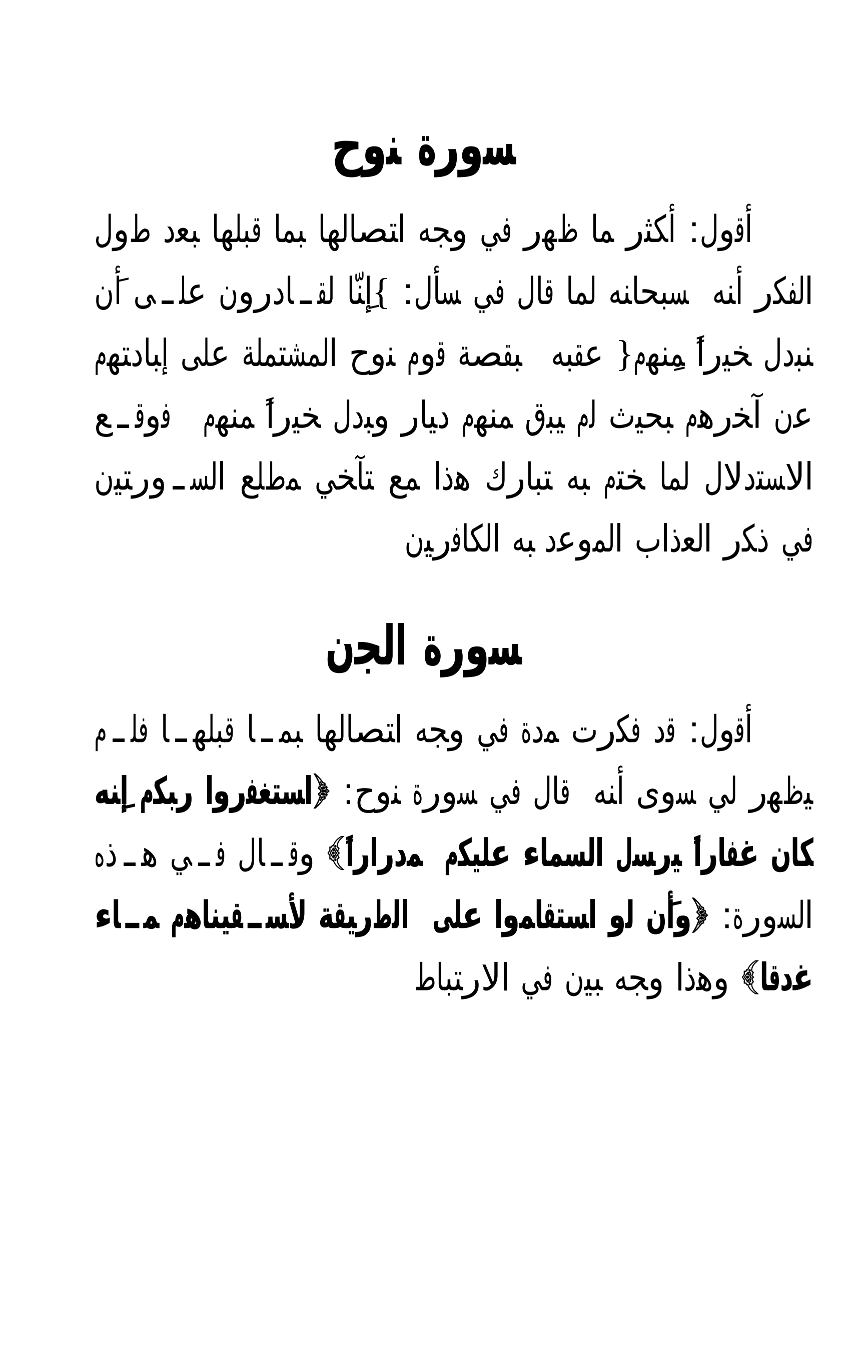


سورة ن

أقول: لما ذكر سبحانه في آخر تبارك التهديد بتغـوير الماء استظهر عليه في هذه السورة بإذهاب ثمـر أصـحاب البستان في ليلة بطاف عليه فيها وهم نائمون فأصـبحوا لـم يجدوا له أثراً حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة فالماء الذي هو لطيف رقيق أقـرب إلى الإذهاب ولهذا قال: ﴿**وهم نائمون فأصبحت كالصـريم**﴾ وقال هناك: ﴿**إن أصبح ماؤكم غوراً**﴾ إشارة إلى أنه يسرى عليه في ليلة كما سرى على الثمرة في ليلة

سورة الحاقة

أقول: لما وقع في {ن} ذكر يوم القيامة مجملاً في قوله: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ شرح ذلك في هذه السورة بناء على هذا اليوم وشأنه العظيم سورة سأل أقول: هذه السورة كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار وقـال إبـن عباس: إنها نزلت عقب سورة الحاقة وذلك أيضاً من وجـوه المناسبة في الوضع

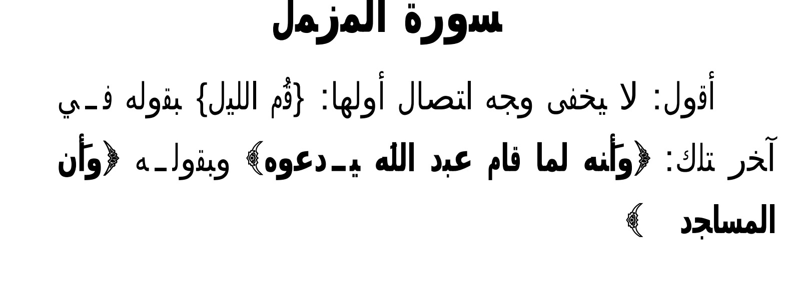


سورة نوح

أقول: أكثر ما ظهر في وجه اتصالها بما قبلها بعد طول الفكر أنه سبحانه لما قال في سأل: }إنّا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم{ عقبه بقصة قوم نوح المشتملة على إبادتهم عن آخرهم بحيث لم يبق منهم ديار وبدل خيراً منهم فوقع الاستدلال لما ختم به تبارك هذا مع تآخي مطلع السورتين في ذكر العذاب الموعد به الكافرين

سورة الجن

أقول: قد فكرت مدة في وجه اتصالها بما قبلها فلم يظهر لي سوى أنه قال في سورة نوح: ﴿**استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً**﴾ وقال في هذه السورة: ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**﴾ وهذا وجه بين في الارتباط



سورة المزمل

أقول: لا يخفى وجه اتصال أولها: {قُم الليل} بقوله فـي آخر تلك: ﴿**وأنه لما قام عبد الله يـدعوه**﴾ وبقولـه ﴿**وأن المساجد** ﴾

سورة المدثر

أقول هذه متآخية مع السورة التي قبلها فـي الافتتـاح بخطاب النبي صلى ا عليه وسلم وصدر كليهما نازل فـي قصة واحدة وقد ذكر عن ابن عباس في ترتيب نزول السور: أن المدثر نزلت عقب المزمل أخرجه ابن الضريس وأخرجه غيره عن جابر بن زيد

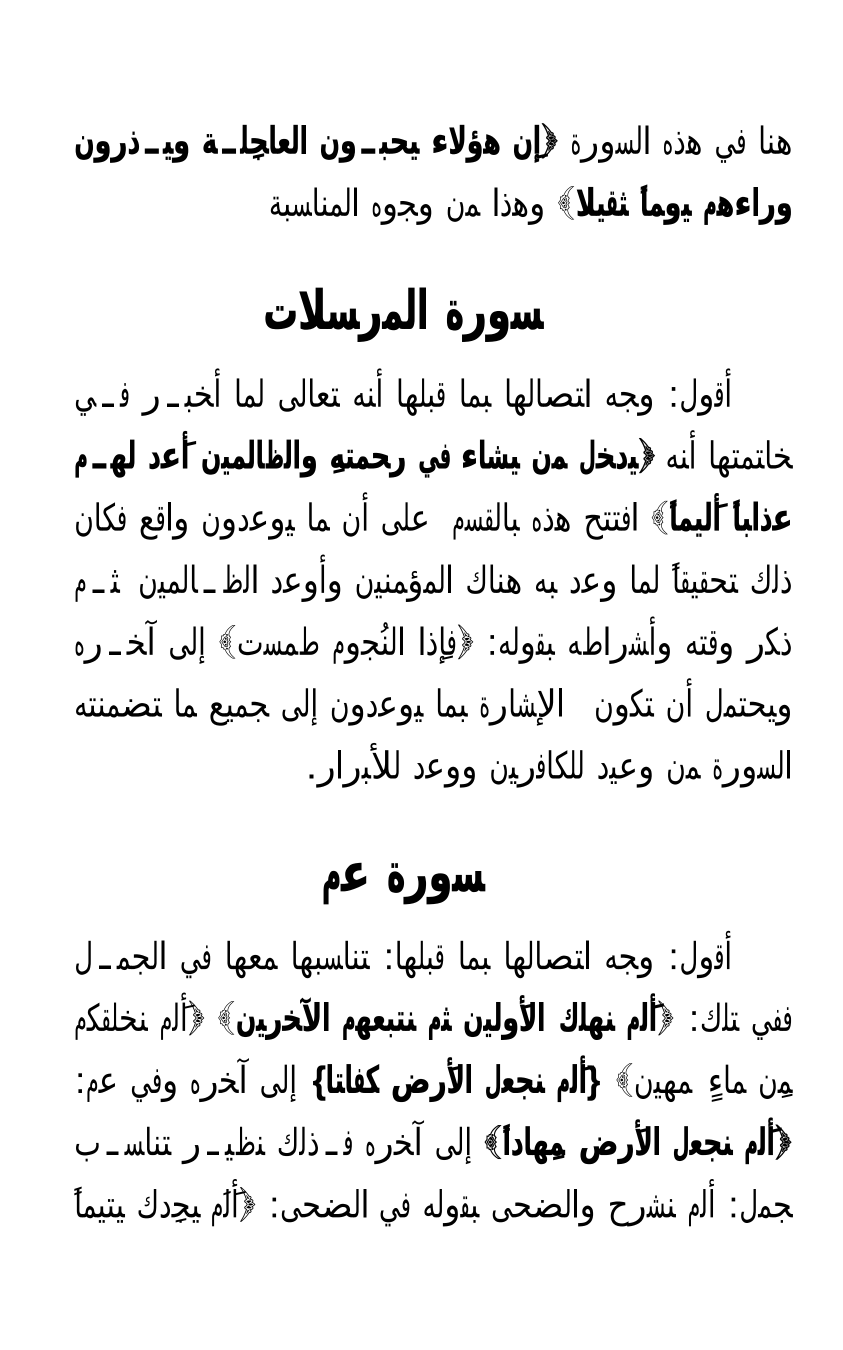
سورة القيامة

أقول: لما قال سبحانه في آخر المـدثر ﴿**كـلا بـل لا يخافون الآخِرة**﴾ بعد ذكر الجنة والنار وكان عـدم خـوفهم إياها لإنكارهم البعث ذكر في هذه السورة الدليل على البعث ووصف يوم القيامة وأهواله وأحواله ثم ذكر ما قبل ذلك من

مبدأ الخلق فذكرت الأحوال في هذه السورة على عكس مـا هي في الواقع .

سورة الانسان

أقول: وجه اتصالها بسورة القيامة في غاية الوضـوح فإنه تعالى ذكر في حر تلك مبدأ خلق الإنسان من نطفة ثـم ذكر مثل ذلك في مطلع هذه السورة مفتتحاً بخلـق آدم أبـي البشر ولما ذكر هناك خلقه منهما قـال هنـا ﴿فجعـلَ منـه الزوجين الذكر والأنثى﴾ **ولما ذكر هناك خلقه منهما قال هنا فجعلناه سميعاً بصيراً﴾** فعلق به غير ما علق بالأول ثم رتب عليه هداية السبيل وتقسيمه إلى شاكر وكفور ثم أخـذ فـي جزاء كل ووجه آخر هو أنه لما وصف حال يوم القيامة في تلك السورة ولم يصف فيها حال النار والجنة بـل ذكرهمـا على سبيل الإجمال فصلهما في هذه السـورة واطنـب فـي وصف الجنة وذلك كله شرح لقوله تعـالى هنـاك ﴿**وجـوه يومئذٍ ناضِرة**﴾ وقوله هنا **{إنّا أعتـدنا للكـافِرين سلاسِـلا وأغلالا وسعيراً}** شرح لقوله هناك ﴿**تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾ وقد ذكر هناك {**كلا بل تحبون العاجِلة وتذَرون الآخِرة**} وذكر



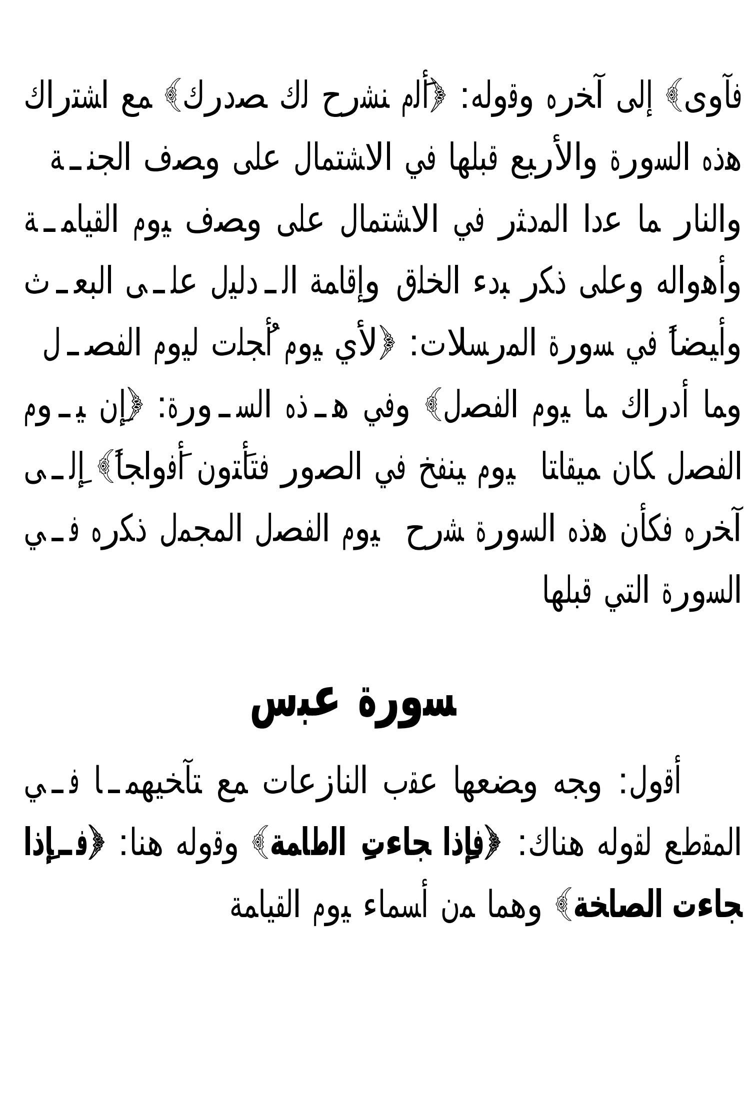
هنا في هذه السورة ﴿**إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا**﴾ وهذا من وجوه المناسبة

سورة المرسلات

أقول: وجه اتصالها بما قبلها أنه تعالى لما أخبر في خاتمتها أنه ﴿**يدخل من يشاء في رحمتهِ والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً**﴾ افتتح هذه بالقسم على أن ما يوعدون واقع فكان ذلك تحقيقاً لما وعد به هناك المؤمنين وأوعد الظالمين ثم ذكر وقته وأشراطه بقوله: ﴿فإذا النُجوم طمست﴾ إلى آخره ويحتمل أن تكون الإشارة بما يوعدون إلى جميع ما تضمنته السورة من وعيد للكافرين ووعد للأبرار.

سورة عم

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: تناسبها معها في الجمل ففي تلك: ﴿**ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين**﴾ ﴿ألم نخلقكم مِن ماءٍ مهين﴾ **{ألم نجعل الأرض كفاتا}** إلى آخره وفي عم: ﴿**ألم نجعل الأرض مِهاداً**﴾ إلى آخره فذلك نظير تناسب جمل: ألم نشرح والضحى بقوله في الضحى: ﴿ألم يجِدك يتيماً



فآوى﴾ إلى آخره وقوله: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ مع اشتراك هذه السورة والأربع قبلها في الاشتمال على وصف الجنة والنار ما عدا المدثر في الاشتمال على وصف يوم القيامة وأهواله وعلى ذكر بدء الخلق وإقامة الدليل على البعث وأيضاً في سورة المرسلات: ﴿لأي يوم أُجلت ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل﴾ وفي هذه السورة: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ إلى آخره فكأن هذه السورة شرح يوم الفصل المجمل ذكره في السورة التي قبلها

سورة عبس

أقول: وجه وضعها عقب النازعات مع تآخيهما في المقطع لقوله هناك: ﴿**فإذا جاءتِ الطامة**﴾ وقوله هنا: ﴿**فإذا جاءت الصاخة**﴾ وهما من أسماء يوم القيامة

سورة التكوير

أقول: لما ذكر في عبس: }فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه{ ذكر يوم القيامـة كأنـه رأى عـين وفـي الحديث: (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عـين فليقرأ: إذا الشمس كورت{ و }إذا السماء انفطـرت{ و }إذا السماء انشقت{).

سورة الانفطار

أقول: قد عرف مما ذكرت وجه وضعها هنا مع زيـادة تآخيهما في المقطع

سورة المطففين

أقول: الفصل بهذه السورة بين الانفطار والانشقاق التي هي نظيرتها من خمسة أوجـه: الافتتـاح ب **{إذا السـماء}** والتخلص ب ﴿**يا أيها الإنسان**﴾ وشرح حال يوم القيامة ولهذا ضمت بالحديث السابق والتناسب في المقدار وكونها مكيـة وهذه السورة مدنية ومفتتحها ومخلصها غير مالهـا لنكتـة

ألهمنيها ا وذلك أن السور الأربع لما كانت في صفة حـال يوم القيامة ذكرت على ترتيب ما يقع فيه فغالب ما وقع فـي التكوير وجميع ما وقع في الانفطار وقع في صدر يوم القيامة ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل ومقاساة العرق والأهـوال فذكره في هذه السورة بقوله: ﴿**يـوم يقـوم النّـاس لِـربِ العالمين**﴾ ولهذا ورد في الحديث: {يقوم أحدهم فـي رشـحه إلى أنصاف أذنيه} ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى فتنشر الكتب فأخذ باليمن وأخذ بالشمال وأخذ من وراء الظهر ثـم بعد ذلك يقع الحساب هكذا وردت بهذا الترتيـب الأحاديـث فناسب تأخير سورة الانشقاق التي فيها إتيان الكتب والحساب عن السورة التي قبلها والتي فيها ذكر الموقف عن التي فيها مبادئ يوم القيامة ووجه آخر وهو: أنه جل جلاله لما قال في الانفطار: ﴿**وإن عليكُم لحافظين كِراماً كاتبين**﴾ وذلـك فـي الدنيا ذكر في هذه السورة حال ما يكتبه الحافظـان وهـو: كتاب مرقوم جعل في عليين أو في سجين وذلك أيضاً فـي الدنيا لكنه عقب بالكتابه إما في يومه أو بعـد المـوت فـي البرزخ كما في الآثار فهذه حالة ثانية في الكتاب ذكرت فـي السورة الثانية وله حالة ثالثة متأخرة فيها وهي أخذ صاحبه

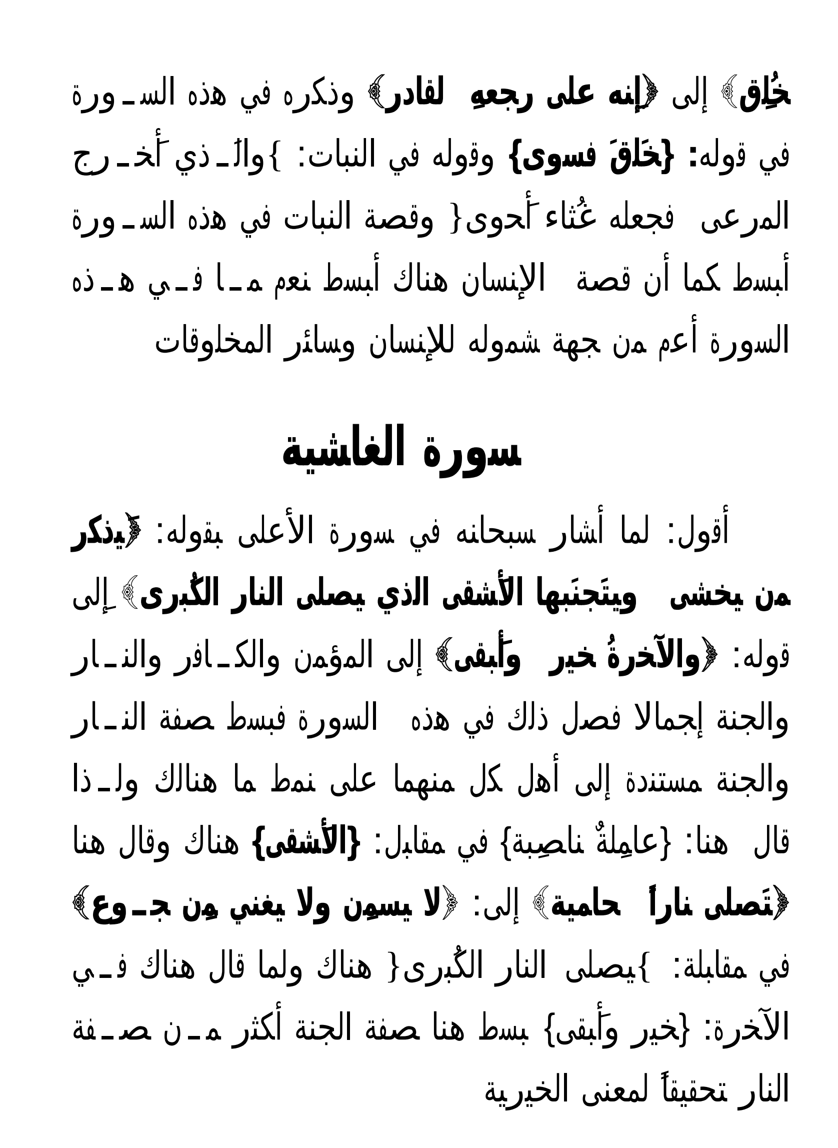
باليمين أو غيرها وذلك يوم القيامة فناسب تأخير السورة التي فيها ذلك عن السورة التي فيها الحالة الثانية وهي الانشقاق فلله الحمد على ما من بالفهم لأسرار كتابه ثم رأيت الإمام فخر الدين قال في سورة المطففين أيضاً: اتصال أولها بآخر ما قبلها ظاهر لأنه تعالى بين هناك أن يوم القيامة من صفته: **﴿لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله﴾** وذلك يقتضى تهديداً عظيماً للعصاة فلهذا أتبعه بقوله: **{ويلٌ للمطففين}**

سورة الانشقاق

قد استوفى الكلام فيها في سورة المطففين سورة البروج والطارق أقول: هما متآخيتان فقرنتا وقدمت الأولى لطولها وذكرا بعد الانشقاق للمؤاخاة في الافتتاح بذكر السماء ولهذا ورد في الحديث ذكر السموات مراداً بها السور الأربع كما قيل: المسبحات

سورة الأعلى

أقول: في سورة الطارق ذكر خلق النبات والإنسان في قوله: ﴿ **والأرض ذَاتِ الصدع**﴾ وقوله: **﴿فلينظُر الإنسان مِم**



خُلِق إلى ﴿**إنه على رجعهِ لقادر**﴾ وذكره في هذه السورة في قوله: **{خَلَقَ فسوى}** وقوله في النبات: }والذي أخرج المرعى فجعله غُثاء أحوى{ وقصة النبات في هذه السورة أبسط كما أن قصة الإنسان هناك أبسط نعم ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات

سورة الغاشية

أقول: لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله: ﴿**يذكر من يخشى ويتَجنبَها الأشقى الذي يصلى النار الكُبرى**﴾ إلى قوله: ﴿**والآخرةُ خير وأَبقى**﴾ إلى المؤمن والكافر والنار والجنة إجمالا فصل ذلك في هذه السورة فبسط صفة النار والجنة مستندة إلى أهل كل منهما على نمط ما هنالك ولذا قال هنا: {عامِلةٌ ناصِبة} في مقابل: **{الأشقى}** هناك وقال هنا ﴿**تَصلى ناراً حامية**﴾ إلى: ﴿**لا يسمِن ولا يغني مِن جوع**﴾ في مقابلة: }يصلى النار الكُبرى{ هناك ولما قال هناك في الآخرة: {خير وأبقى} بسط هنا صفة الجنة أكثر من صفة النار تحقيقاً لمعنى الخيرية

سورة الفجر

أقول: لم يظهر لي من وجه ارتباطها سـوى أن أولهـا كالإقسام على صحة ما ختم به السورة التي قبلها من قولـه جل جلاله: ﴿**إِن إِلَينَا إِيابهم *ثُم إِن علَينَا حِسابهم**﴾ وعلى ما تضمنه من الوعد والوعيد كما أن أول الذاريات قسم على تحقيق ما في {ق} وأول المرسلات قسم على تحقيق ما فـي {عم} هذا مع أن جملة {أَلَم تَرى كيفَ فَعلَ ربك} هنا مشابهة لجملة {أفلا ينظرون} هناك

سورة البلد

أقول: وجه اتصالها بما قبلها أنه لما ذم فيها من أحـب المال وأكثر التراث ولم يحض على طعام المسكين ذكر فـي هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال من فـك الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة سورة الشـمس والليـل والضحى أقول: هذه الثلاثة حسنة التناسـق جـداً لمـا فـي مطالعها من المناسبة لما بين الشمس والليل والضـحى مـن الملابسة ومنها سورة الفجر لكن فصلت بسورة البلد لنكتـة أهم كما فصل بين الانفطار والانشقاق وبين المسـبحات لأن

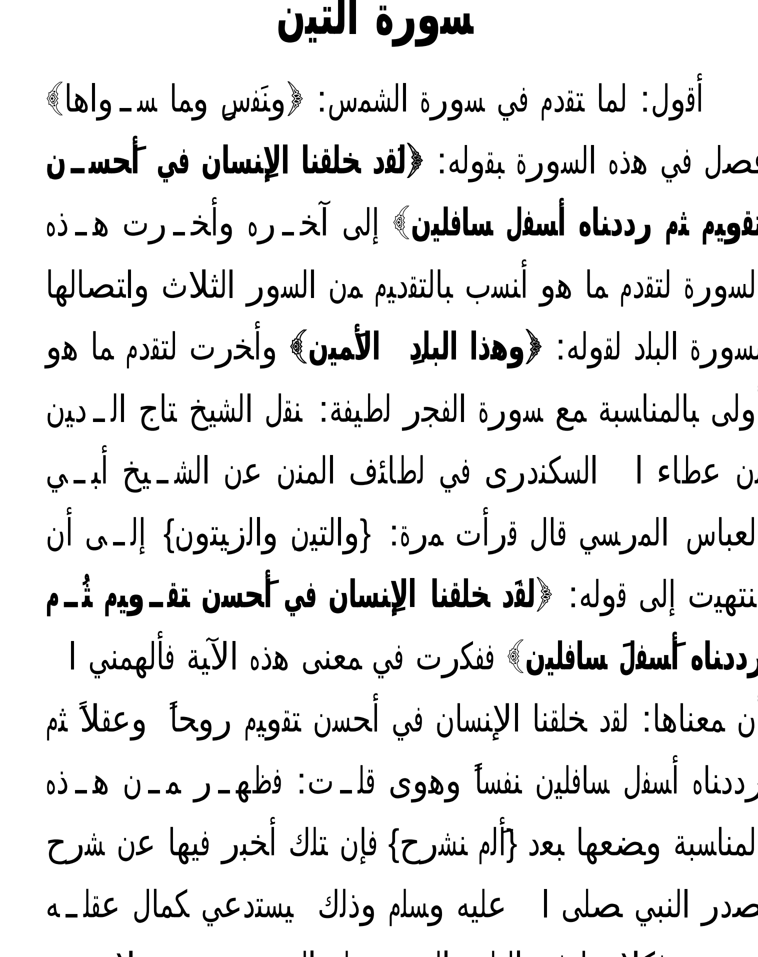
مراعاة التناسب بالأسماء والفواتح وترتيب النزول إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى وآكد في المناسبة ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة فقوله في الشمس }قَد أَفلح من زكاها{ هم أصحاب الميمنة في سورة البلد وقوله: }وقد خاب من دساها{ في الشمس هم أصحاب المشأمة في سورة البلد فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة: ولهذا قال الإمام: المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي ونزيد في سورة الليل: أنها تفصيل إجمال سورة الشمس فقوله ﴿**فَأَما من أَعطى واتقى**﴾ وما بعدها تفصيل ﴿**قَد أَفلح من زكاها**﴾ وقوله: ﴿وأَما من بخِلَ واستغنى﴾ تفصيل قوله ﴿**وقَد خاب من دساها**﴾ ونزيد في سورة الضحى: أنها متصلة بسورة الليل من وجهين فإن فيها ﴿وإِن لنا للآخرةُ والأُولى﴾ وفي الضحى: ﴿وللآخرةُ خير لك مِن الأُولى﴾ وفي الليل ﴿ولسوفَ يرضى﴾ وفي الضحى ﴿**ولسوفَ يعطيك ربك فترضى**﴾ ولما كانت سورة الضحى

نازلة في شأنه صلى ا عليه وسلم افتتحت بالضحى الـذي هو نور ولما كانت

سورة الليل

سورة أبي بكر يعني: ما عدا قصة البخيل وكانت سورة الضحى سورة محمد عقب بها ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم ألا واسطة بين محمد وأبي بكر أقول: هي شديدة الاتصـال بسورة الضحى لتناسبهما في الجمل ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما قال الإمام: والـذي دعاهم إلى ذلك هو: أن قوله: {ألم نشرح} كالعطف على: ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى**﴾ في الضحى قلت: وفي حديث الإسراء أن ا تعالى قال: {يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويت وضالاً فهديت وعائلاً فأغنيت وشرحت لك صدرك وحططت عنـك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت} الحديث أخرجه ابـن أبي حاتم وفي هذا أو في دليل على اتصال السورتين معنى

سورة التين



أقول: لما تقدم في سورة الشمس: ﴿ونَفسٍ وما سـواها﴾ فصل في هذه السورة بقوله: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسـن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين**﴾ إلى آخـره وأخـرت هـذه السورة لتقدم ما هو أنسب بالتقديم من السور الثلاث واتصالها بسورة البلد لقوله: ﴿**وهذا البلدِ الأمين**﴾ وأخرت لتقدم ما هو أولى بالمناسبة مع سورة الفجر لطيفة: نقل الشيخ تاج الـدين بن عطاء ا السكندرى في لطائف المنن عن الشـيخ أبـي العباس المرسي قال قرأت مرة: {والتين والزيتون} إلـى أن انتهيت إلى قوله: ﴿**لقَد خلقنا الإنسان في أحسن تقـويم ثُـم رددناه أسفلَ سافلين**﴾ ففكرت في معنى هذه الآية فألهمني ا أن معناها: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوى قلـت: فظهـر مـن هـذه المناسبة وضعها بعد {ألم نشرح} فإن تلك أخبر فيها عن شرح صدر النبي صلى ا عليه وسلم وذلك يستدعي كمال عقلـه وروحه فكلاهما في القلب الذي محله الصدر وعن خلاصـه من الوزر الذي ينشأ من النفس والهوى وهو معصوم منهمـا وعن رفع الذكر حيث نزه مقامه عن كل موهم فلما كانت هذه

السورة في هذا العلم الفرد من الإنسان أعقبها بسورة مشتملة على بقية الأناسى وذكر ما خامرهم في متابعة النفس والهوى

سورة العلق

أقول: لما تقدم في سورة التين بيان خلق الإنسـان فـي أحسن تقويم بين هنا أنه تعالى: {خَلَقَ الإِنسان مِن علق} وذلك ظاهر الاتصال فالأول بيان العلة الصورية وهذا بيان العلـة المادية

سورة القدر

قال الخطابي: لما اجتمع أصحاب النبي صلى ا عليـه وسلم على القرآن ووضعوا سورة القدر عقب العلق اسـتدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله: }إنّا أنزلنـاه فـي ليلةِ القدر{ الإشارة إلى قوله {اقرأ} قال القاضي أبو بكر بـن العربي وهذا بديع جداً سورة لم يكن أقول: هذه السورة واقعة موقع العلة لما قبلها كأنه لما قال سبحانه: {إنّا أنزلناه} قيل: لم أنزل فقيل لأنه لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة وهو رسول من ا يتلو صحفاً مطهرة وذلك هو

المنزل وقد ثبتت الأحاديث بأنه كان في هذه السـورة قـرآن نُسخ رسمه وهو: إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم واديا لابتغى إليه الثاني ولو أن لـه الثـاني لابتغى إليه الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب ا على من تاب وبذلك تشتد المناسبة بين هذه السورة وبين ما قبلها حيث ذكر هناك إنزال القرآن وهنا إنـزال المـال وتكون السورتان تعليلاً لما تضمنته سورة اقـرأ لأن أولهـا ذكر العلم وفي أثنائها ذكر المال فكأنه قيل: إنا لم ننزل المال للطغيان والاستطالة والفخر بل ليستعان به على تقوانا وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

سورة الزلزلة

أقول: لما ذكر في آخر {لم يكُن} أن جـزاء الكـافرين جهنم وجزاء المؤمنين جنات فكأنه قيل: متى يكون ذلك فقيل: ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾ أي حين تكون زلزلـة الأرض إلى آخره هكذا ظهر لي ثم لما راجعت تفسير الإمام الرازي ورأيته ذكر نحوه حمدت ا كثيراً وعبارته: ذكـروا فـي مناسبة هذه السورة لما قبلها وجوها منها: أنه تعالى لما قال:



﴿جزاؤهم عِند ربِهم جناتُ عدنٍ﴾ فكأن المكلف قال: ومتـى يكون ذلك يا رب فقال: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ ومنها: أنه لما ذكر فيها وعيد الكافرين ووعد المؤمنين أراد أن يزيـد فـي وعيد الكافرين فقال: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ ونظيـره: ﴿يـوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ ثم ذكر ما للطائفتين فقال: ﴿فأَما الذين اسودت وجوههم﴾ إلى آخره ثم جمع بينهما هنـا فـي آخره السورة بذكر الذي يعمل الخير والشر انتهى

سورة العاديات

أقول: لا يخفى ما بين قوله في الزلزلـة: ﴿وأَخرجـتِ الأرض أثقالها﴾ وقوله في هذه السورة: ﴿إذا بعثر مـا فـي القبور﴾ من المناسبة والعلاقة

سورة القارعة

قال الإمام: لما ختم ا سبحانه السورة السابقة بقولـه: ﴿إن ربهم بِهم يومئذٍ لخَبير﴾ فكأنه قيل: وما ذاك قال: هـي القارعة قال: وتقديره: ستأتيك القارعة على ما أخبرت عنـه بقوله: ﴿إذا بعثِر ما في القبور﴾.

سورة التكاثر

أقول: هذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها كأنه لما قال هناك: **{فأُمه هاوية}** قيل: لم ذلك فقال: لأنكم **{ألهاكُم التكاثُر}** فاشتغلتم بدنياكم وملأتم موازينكم بالحطـام فخفـت موازينكم بالآثام

سورة العصر

ولهذا عقبها بسورة العصر المشتملة على أن الإنسـان في خُسر بيان لخسارة تجارة الدنيا وربح تجارة الآخرة ولهذا عقبها بسورة الهمزة المتوعد فيها من جمـع مـالاً وعـدده يحسب أن ماله أخلده فانظر إلى تلاحم هذه السـور الأربـع وحسن اتساقها ظهر لي في وجه اتصالها بعد الفكـرة: أنـه تعالى لما ذكر حال الهمزة اللمزة الذي جمع مـالاً وعـدده وتعزز بماله وتقوى عقب ذلك بذكر قصة أصـحاب الفيـل الذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وعتوا وقد جعل كيدهم في تضليل وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه وجعلهم كعصف مأكول ولم يغن عنهم مالهم ولا عزهم ولا شوكتهم ولا فيلهم شيئاً فمن كان قصارى تعززه وتقويه بالمال وهمـز النـاس

بلسانه أقرب إلى الهلاك وأدنى إلى الذلـة والمهانـة سـورة قريش هي شديدة الاتصال بما قبلها لتعلق الجار والمجـرور في أولها بالفعل في آخر تلك ولهذا كانتا في مصـحف أبـي سورة واحدة

سورة الماعون

أقول: لما ذكر تعالى في سورة قريش: ﴿الذي أطعمهـم مِن جوعٍ﴾ ذكر هنا ذم من لم يحض على طعام المسكين ولما قال هناك: ﴿ **فَلْيعبدوا رب هذَا الْبيتِ**﴾ ذكر هنا من سها عن صلاته قال الإمام فخر الدين: هي كالمقابلة للتـي قبلهـا لأن السابقة وصف ا سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة وذكر في هذه السورة في مقابلة البخل: ﴿**إِنّا أَعطيناك الكوثَر**﴾ أي: الخيـر الكثيـر وفي مقابلة ترك الصلاة {فصل} أي دم عليها وفـي مقابلـة الرياء: {لربك} أي: لرضاه لا للنـاس وفـي مقابلـة منـع الماعون: {وانحر} وأراد به: التصدق بلحوم الأضاحي قال: فاعتبر هذه المناسبة العجيبة

سورة الكافرون

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: أنه تعالى لما قال: **{فصل لربك}** أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبـد إلا ربـه ولا يعبد ما يعبدون وبالغ في ذلك فكرر وانفصل منهم علـى أن لهم دينهم وله دينه

سورة النصر

أقول: وجه اتصالها بما قبلها: أنه قال في آخر ما قبلها: {ولي دين} فكان فيه إشعار بأنه خلص له دينـه وسـلم مـن شوائب الكفار والمخالفين فعقب ببيان وقت ذلك وهو مجـئ الفتح والنصر فإن الناس حين دخلوا في دين ا أفواجاً فقدتم الأمر وذهب الكفر وخلص دين الإسلام ممن وقـال الإمـام فخر الدين: كأنه تعالى يقول: لما أمرتك في السورة المتقدمة بمجاهدة جميع الكفار بالتبرى منهم وإبطال دينهم جزيتك على ذلك بالنصر والفتح وتكثير الأتباع قال: ووجه آخر وهو: أنه لما أعطاه الكوثر وهو: الخير الكثير ناسب تحميله مشـقاته وتكاليفه فعقبها بمجاهدة الكفار والتبرى منهم فلما امتثل ذلـك أعقبه بالبشارة بالنصر والفتح وإقبال الناس أفواجاً إلى دينـه

وأشار إلى دنو أجله فإنه ليس بعد الكمال إلا الـزوال توقيـع زوالا إذا قيل تم .

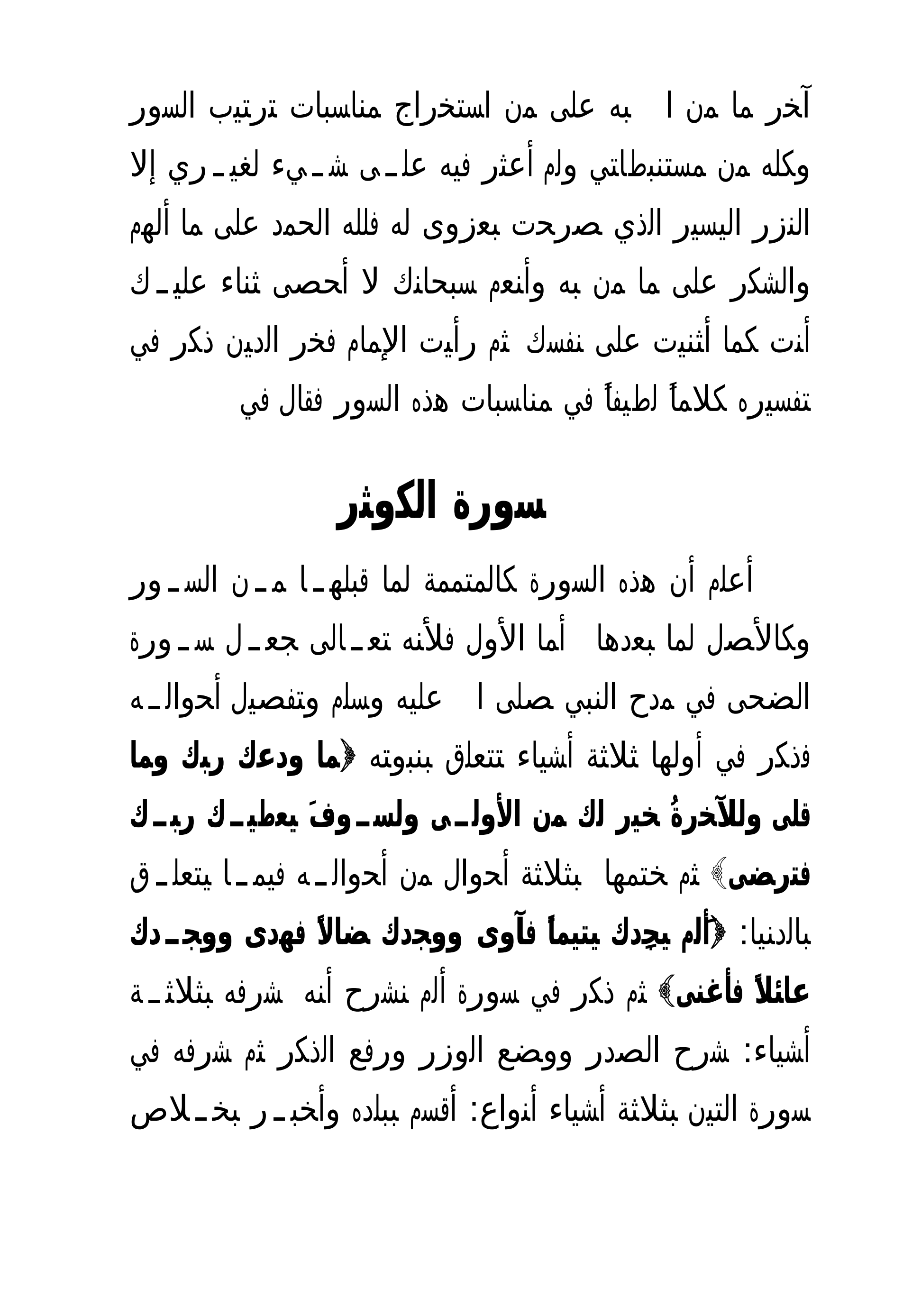
سورة تبت

قال الإمام: وجه اتصالها بما قبلها: أنه لما قال: ﴿ **لَكُـم دِينُكُم ولِي دِينِ**﴾ فكأنه قيل: إلهي وما جزائي فقال الـله: النصر والفتح فقال: وما جزاء عمي الذي دعاني إلى عبـادة الأصنام فقال: ﴿ **تَبتْ يدا أَبِي لَهبٍ وتَب**﴾ وقدم الوعد علـى الوعيد ليكون النصر معللاً بقوله: {ولي دين} ويكون الوعيـد راجعاً إلى قوله**: {لَكُم دينكُم}** على حد قوله: ﴿ **يـوم تَبـيض وجوه وتَسود وجوه فَأَما الَّذِين اسودتْ وجـوههم** ﴾ قـال: فتأمل في هذه المجانسة الحافلة بين هذه السور مع أن سورة النصر من أواخر ما نزل قال: ووجه آخر وهو: أنه لما قال ﴿**لَكُم دينكُم ولي دين**﴾ كأنه قيل: يا إلهي ما جـزاء المطيـع قال: حصول النصر والفتح فقيل: وما ثواب العاصي قـال: الخسارة في الدنيا والعقاب في العقبى كما دلت عليه سـورة تبت سورة الاخلاص قال بعضهم: وضعت ههنا للوزان فـي اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة تبت وأقول: ظهر لي هنـا

غير الوزان في اللفظ: أن هذه السورة متصلة بقل يـا أيهـا الكافرون في المعنى ولهذا قيل: من أسمائها أيضاً الإخلاص وقد قالوا: إنها اشتملت على التوحيد وهذه أيضاً مشتملة عليه ولهذا قرن بينهما في القراءة في الفجر والطواف والضـحى وسنة المغرب وصبح المسافر ومغرب ليلة الجمعة وذلك أنه لما نفى عبادة ما يعبدون صرح هنا بـلازم ذلـك وهـو أن معبوده أحد وأقام الدليل عليه بأنه صمد لم يلد ولم يولد ولـم يكن له كفواً أحد ولا يستحق العبادة إلا من كان كذلك ولـيس في معبوداتهم ما هو كذلك وإنمـا فصـل بـين النظيـرتين بالسورتين لما تقدم من الحكمة وكأن إيلاءها سورة تبت ورد عليه سورة الفلق والناس أقول: هاتان السورتان نزلنا معاً كما في الدلائل للبيهقي فلذلك قُرنتا مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين ومن الافتتاح بقل أعوذ وعقب بهما.

سورة الإخلاص

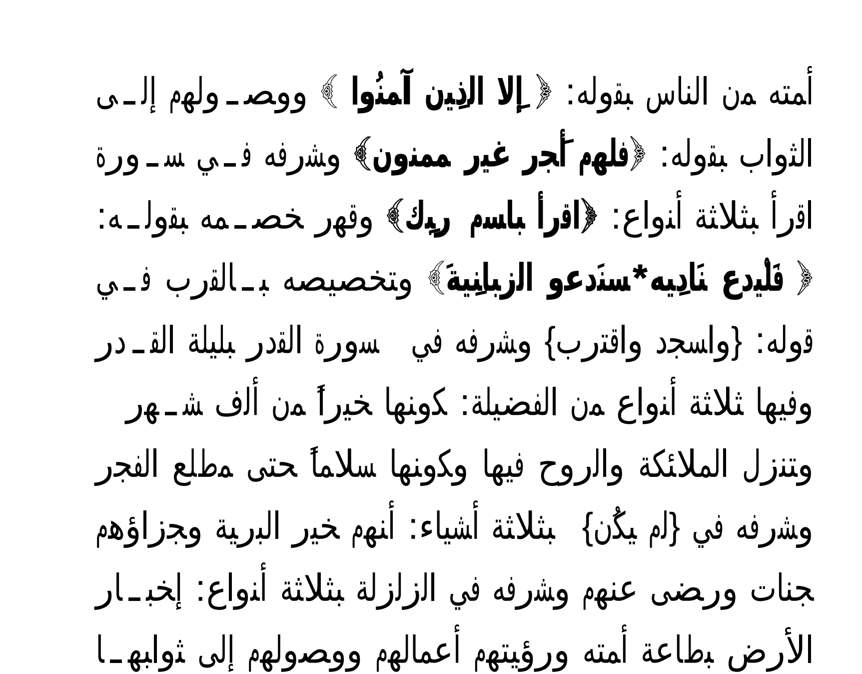
لأن الثلاثة سميت في الحديث بـالمعوذات وبالقوافـل وقدمت الفلق على الناس - وإن كانت أقصر منها - لمناسبة مقطعها في الوزان لفواصل الإخلاص مع مقطع تبت وهـذا



آخر ما من ا به على من استخراج مناسبات ترتيب السور وكله من مستنبطاتي ولم أعثر فيه علـى شـيء لغيـري إلا النزر اليسير الذي صرحت بعزوى له فلله الحمد على ما ألهم والشكر على ما من به وأنعم سبحانك لا أحصى ثناء عليـك أنت كما أثنيت على نفسك ثم رأيت الإمام فخر الدين ذكر في تفسيره كلاماً لطيفاً في مناسبات هذه السور فقال في

سورة الكوثر

أعلم أن هذه السورة كالمتممة لما قبلهـا مـن السـور وكالأصل لما بعدها أما الأول فلأنه تعـالى جعـل سـورة الضحى في مدح النبي صلى ا عليه وسلم وتفصيل أحوالـه فذكر في أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته ﴿**ما ودعك ربك وما قلى وللآخرةُ خير لك من الأولـى ولسـوفَ يعطيـك ربـك فترضى**﴾ ثم ختمها بثلاثة أحوال من أحوالـه فيمـا يتعلـق بالدنيا: ﴿**ألم يجِدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجـدك عائلاً فأغنى**﴾ ثم ذكر في سورة ألم نشرح أنه شرفه بثلاثـة أشياء: شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر ثم شرفه في سورة التين بثلاثة أشياء أنواع: أقسم ببلده وأخبـر بخـلاص



أمته من الناس بقوله: ﴿**إلا الذين آمنوا**﴾ ووصولهم إلى الثواب بقوله: ﴿**فلهم أجر غير ممنون**﴾ وشرفه في سورة اقرأ بثلاثة أنواع: ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ وقهر خصمه بقوله: ﴿**فَلْيدع نَادِيه*سنَدعو الزبانيةَ**﴾ وتخصيصه بالقرب في قوله: {واسجد واقترب} وشرفه في سورة القدر بليلة القدر وفيها ثلاثة أنواع من الفضيلة: كونها خيراً من ألف شهر وتنزل الملائكة والروح فيها وكونها سلاماً حتى مطلع الفجر وشرفه في {لم يكُن} بثلاثة أشياء: أنهم خير البرية وجزاؤهم جنات ورضى عنهم وشرفه في الزلزلة بثلاثة أنواع: إخبار الأرض بطاعة أمته ورؤيتهم أعمالهم ووصولهم إلى ثوابها حتى وزن الذرة وشرفه في العاديات بإقسامه بخيل الغزاة من أمته ووصفها بثلاث صفات وشرفه في القارعة بثقل موازين أمته وكونهم في عيشة راضية ورؤيتهم أعداءهم في نار حامية وفي ألهاكم التكاثر هدد المعرضين عن دينه بثلاثة: يرون الجحيم ثم يرونها عين اليقين ويسألون عن النعيم وشرفه في سورة العصر بمدح أمته بثلاث: الإيمان والعمل الصالح وإرشاد الخلق إليه وهو: التواصي بالحق والصبر وشرفه في

سورة الهمزة

بوعيد عدوه بثلاثة أشياء: ألا ينتفع بدنياه ويعذبه في الحطمة ويغلق عليه وشرفه في

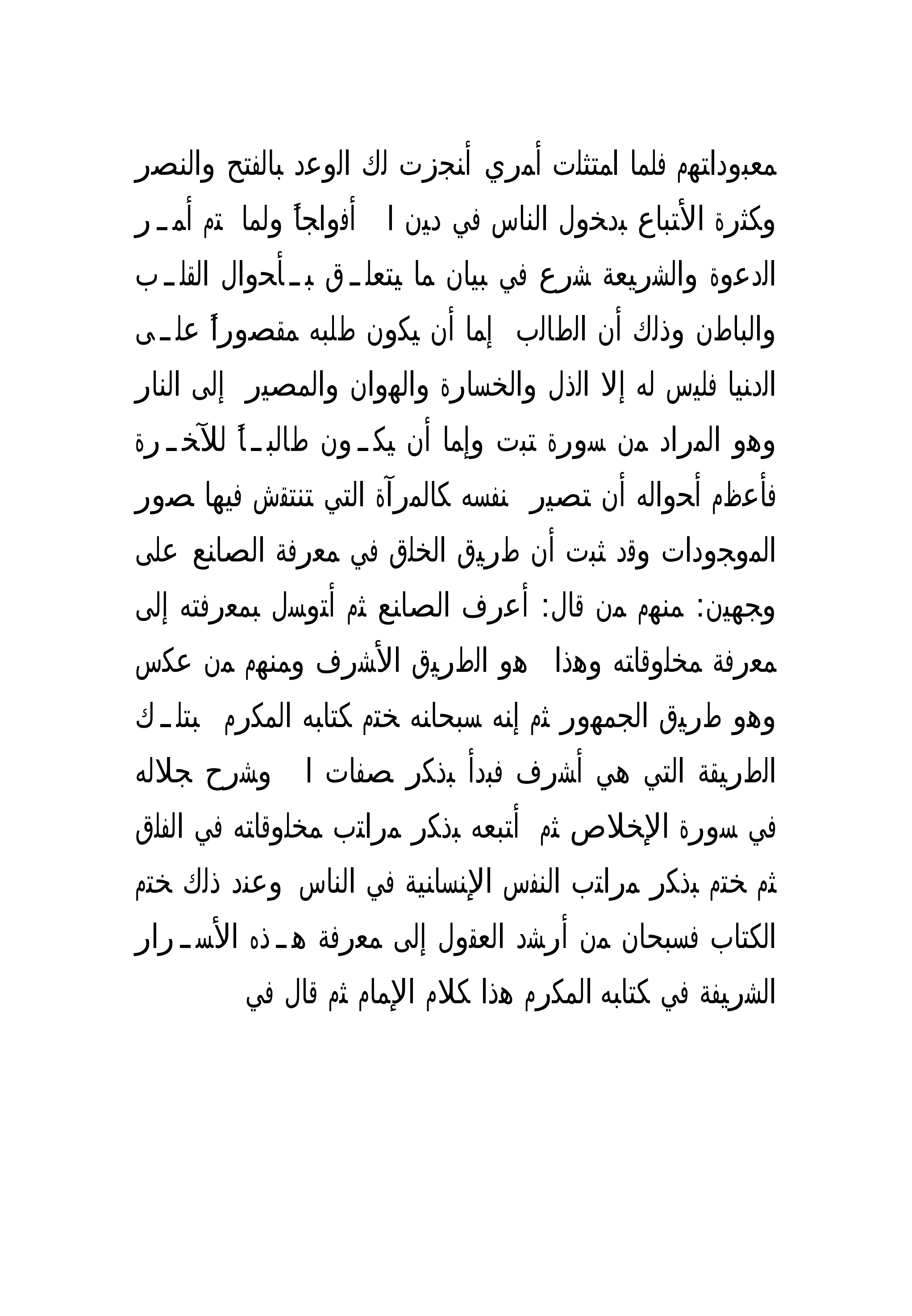
سورة الفيل

بأن رد كيد عدوه بثلاث: بأن جعله في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل وجعلهم كعصف مأكول وشرفه في

سورة قريش

بثلاث: تألف قومه وإطعامهم وأمنهم وشرف في الماعون بذم عدوه بثلاث: الدناءة واللؤم في قوله }فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعامِ المسكين{ وترك تعظيم الخالق في قوله: ﴿**فَويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتِهم ساهون الذين هم يراءونَ**﴾ وترك نفع الخلق في قوله: {ويمنَعون الماعون} فلما شرفه في هذه السور بهذه الوجوه العظيمة قال: ﴿**إنّا أعطيناك الكوثر**﴾ أي: هذه الفضائل المتكاثرة المذكورة في هذه السور التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها فاشتغل أنت بعبادة ربك إما بالنفس

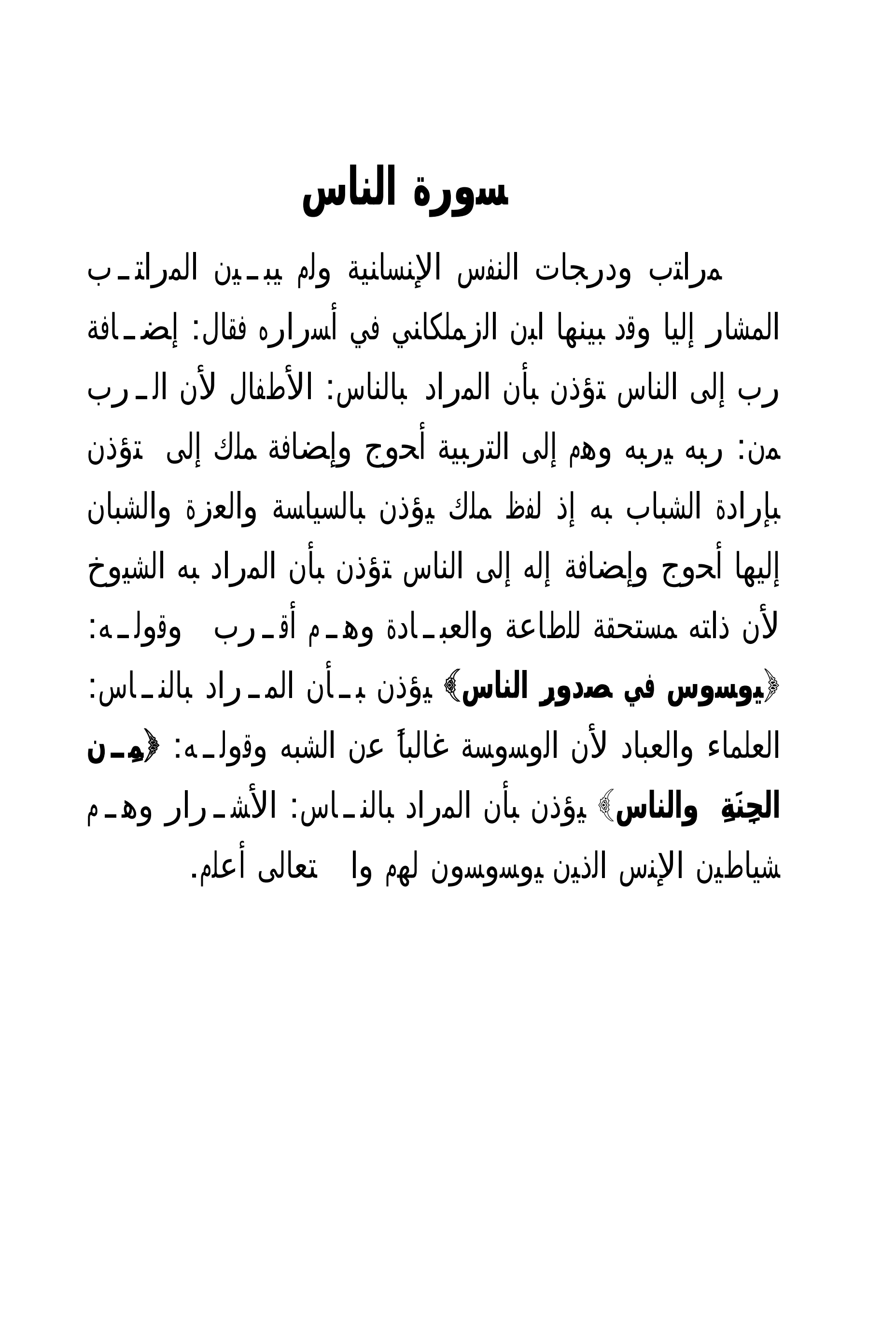
وهو قوله {فصل لربك} وإما بالمال وهو قوله {وانحر} وإمـا بإرشاد العباد إلى الأصلح وهو قوله: {قُل يا َأيها الكافرون لا َأعبد ما تعبدون(فثبت أن هذه السورة كالمتممة لما قبلها وأما كونها كالأصل لما بعدها فهو: أنه تعالى يأمره بعد هـذه أن يكف عن أهل الدنيا جميعاً بقوله: ﴿ **قُلْ يا َأيها الْكَـافِرون**﴾ إلى آخر السورة ويبطل أذاهم وذلك يقتضى نصـرهم علـى أعدائهم لأن الطعن على الإنسان في دينه أشد عليـه مـن الطعن في نفسه وزوجه وذلك مما يجبن عنه كل أحـد مـن الخلق فإن موسى وهارون أرسلا إلى فرعون واحد فقالا: {إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى} ومحمد صلى ا عليـه وسلم مرسل إلى الخلق جميعاً فكان كل واحـد مـن الخلـق كفرعون بالنسبة إليه فدبر ا في إزالة الخوف الشديد تدبيراً لطيفاً بأن قدم هذه السورة وأخبر فيها بإعطائه الخير الكثيـر ومن جملته أيضاً: الرئاسة ومفاتيح الدنيا فلا يلتفت إلى مـا بأيديهم من زهرة الدنيا وذلك أدعى إلى مجاهدتهم بالعـداوة والصلح بالحق لعدم تطلعه إلى ما بأيديهم ثم ذكر بعد سـورة الكافرين سورة النصر فكأنه تعالى يقول: وعـدتك بـالخير الكثير وإتمام أمرك وأمرتك بإبطال أديـانهم والبـراءة مـن



معبوداتهم فلما امتثلت أمري أنجزت لك الوعد بالفتح والنصر
وكثرة الأتباع بدخول الناس في دين ا أفواجاً ولما تم أمـر
الدعوة والشريعة شرع في بيان ما يتعلـق بـأحوال القلـب
والباطن وذلك أن الطالب إما أن يكون طلبه مقصوراً علـى
الدنيا فليس له إلا الذل والخسارة والهوان والمصير إلى النار
وهو المراد من سورة تبت وإما أن يكـون طالبـاً للآخـرة
فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التي تنتقش فيها صور
الموجودات وقد ثبت أن طريق الخلق في معرفة الصانع على
وجهين: منهم من قال: أعرف الصانع ثم أتوسل بمعرفته إلى
معرفة مخلوقاته وهذا هو الطريق الأشرف ومنهم من عكس
وهو طريق الجمهور ثم إنه سبحانه ختم كتابه المكرم بتلـك
الطريقة التي هي أشرف فبدأ بذكر صفات ا وشرح جلاله
في سورة الإخلاص ثم أتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في الفلق
ثم ختم بذكر مراتب النفس الإنسانية في الناس وعند ذلك ختم
الكتاب فسبحان من أرشد العقول إلى معرفة هـذه الأسـرار
الشريفة في كتابه المكرم هذا كلام الإمام ثم قال في

سورة الفلق

سمعت بعض العارفين يقول: لما شرح ا سبحانه أمر الإلهية في سورة فعالم الأمر كله خيرات محضة بريئة عـن الشرور والآفات أما عالم الخلـق فهـو الأجسـام الكثيفـة والجثمانيات فلا جرم قال في المطلع: }قُل أَعوذُ برِبِ الفَلَق مِن شَرِ ما خَلَق{ ثم الأجسام إما أبدية وكلها خيرات محضة لأنها بريئة عن الاختلافات والفطور على ما قال: }ما تـرى في خَلْقِ الرحمن مِن تفاوت فارجِع البصر هـل تـرى مِـن فطور{ وإما عنصرية وهي إما جمادات فهـي خاليـة عـن جميع القوى النفسانية فالظالمات فيها خالصة والأنوار عنها زائلة وهو المراد من قوله: }ومِن شَرِ غاسقٍ إِذا وقب{ وإما نبات والقوة العادلة هي التي تزيد في الطول والعمق معاً فهذه القوة النباتية كأنها تنفث في العقدة وإما حيوان وهـو محـل القوى التي تمنع الروح الإنسانية عن الانصباب إلى عـالم الغيب والاشتغال بقدس جلال ا وهو المراد بقوله: }ومِـن شَرِ حاسدٍ إِذا حسد{ ثم إنه لم يبق من السـفليات بعـد هـذه المرتبة سوى النفس الإنسانية وهي المسـتفيدة فـلا يكـون مستفاداً منها فلا جرم قطع هذه السورة وذكر بعدها في



سورة الناس

مراتب ودرجات النفس الإنسانية ولم يبـين المراتـب المشار إليا وقد بينها ابن الزملكاني في أسراره فقال: إضـافة رب إلى الناس تؤذن بأن المراد بالناس: الأطفال لأن الـرب من: ربه يربه وهم إلى التربية أحوج وإضافة ملك إلى تؤذن بإرادة الشباب به إذ لفظ ملك يؤذن بالسياسة والعزة والشبان إليها أحوج وإضافة إله إلى الناس تؤذن بأن المراد به الشيوخ لأن ذاته مستحقة للطاعة والعبـادة وهـم أقـرب وقولـه: ﴿**يوسوس في صدور الناس**﴾ يؤذن بـأن المـراد بالنـاس: العلماء والعباد لأن الوسوسة غالباً عن الشبه وقولـه: ﴿**مِـن الجِنَةِ والناس**﴾ يؤذن بأن المراد بالنـاس: الأشـرار وهـم شياطين الإنس الذين يوسوسون لهم وا تعالى أعلم.